في رحاب
الرحلة الطاهرة

تأليف
د.سميرة الشيزاوي

2024

أوراق AWRAAQ
للنشر والتوزيع
PUBLICATION & DISTRIBUTION

في رحاب
الرحلة الطاهرة

تأليف

الدكتورة/ سميرة محمد الشيزاوي

2024

AWRAAQ أوراق
للنشر والتوزيع
PUBLICATION & DISTRIBUTION

في رحاب الرحلة الطاهرة

الدكتورة/ سميرة الشيزاوي

يصدر بالتعاون بين
دار نشر شعلة الإبداع للطباعة والنشر
ودار نشر أوراق للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
2024

• رقم الإيداع: 11715 - 2024
• الترقيم الدولي: I.S.B.N: 978 - 977- 8863 - 00 - 0

• الآراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الدار، بل تعبر عن رأي المؤلف فى المقام الأول.
• حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميًا، أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف.

خطواتُ ستخطوها قد سارها قبلُك

أصنافٌ وألوانٌ من البشرِ

منهم الأنبياءُ المصطفون

ومنهم الصديقون

ومنهم الأولياء

ومنهم المقبولين ومنهم المحرومين

قال ابن عمر (رضي الله عـــنهـــما) لمجاهد حين قال: (ما أكثر الحاج) قال: (ما أقلهم، ولكن قُل: ما أكثر الركب)

فليس كل من رَكِبَ وسارَ قد برَ حجُه ورَجِع كيومِ ولدتهُ أمُه

نعم ...

ليسَ الشأنُ في مَن أقبَل ولكن الشأنُ في من قُبِل

قال تعالى : {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[1]

إن قصدُ البيت هو قصدُ ربُ البيتِ

بالتأله له جل جلاله محبةً وإجلالاً وتعظيماً

وترويضٌ القلبِ والجوارحِ على الخضوعِ

والانقيادِ والاستسلام

رغبةً في ما عندهُ سبحانه من رحمةٍ وعفوٍ ومغفرةٍ وخيرٍ

وبركةٍ ورهبةٍ من عذابهِ وانتقامهِ

١ المائدة ٩٧

الفهرس

مبدأ الأمر :	١٣
معالم في البيت الحرام:	٣٩
خدمة الكعبة:	٤٩
مبدأ أمر الحج :	٦١
فضل الحج :	٦٥
الحج مناسك ومشاعر	٦٩
خطوات التأهب	٧١
قبل الشروع في السفر يستحب:	٧٧
الميقات	٨١
مناسك ومشاعر الحج	١١٥
وختاما	١٧٠

مبدأ الأمر :

قال تعالى : {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ١}.

وقال سبحانه : {إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود٢}

قَالَ ابن أبي حاتم : كَانَتِ الْبُيُوتُ قِبْلَةً، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِعِبَادَةِ اللهِ.

قال مجاهد : خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفي سنة، وأن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى[٣].

نسب الله عز وجل البيت إلى نفسه إعلاماً لخلقه بما لهذا البيت من قدسية وحرمة وإجلال، وتكريماً له وتشريفاً، وضعه في الأرض للناس جميعاً يلوذون به، ويثوبون إليه، وظل البيت محجة للناس على اختلاف عقائدهم وتلون عباداتهم التي تلوثت بالشرك والجهالات، إلى أن أكرم الله البشرية ببعثة الرسول

١ سورة آل عمران الآية ٩٦
٢ سورة الحج الآية ٢٨
٣ تفسير القرطبي

الأعظم محمد خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، فطهر بيت الله من الأوثان والأصنام، ومنذ السنة العاشرة للهجرة لم يحج إلى البيت كافر، أو يطوف بالبيت عريان على عادة أهل الجاهلية حيث كانوا يقصدون بذلك أن يطوفوا طاهرين كما ولدوا، بغير الثياب التي أذنبوا فيها، فكان أحدهم إذا بلغ باب المسجد الحرام قال لقريش من يعيرني ثوباً أطوف به؟ فإن أعطاه قرشي ثوباً طاف فيه، وإلا ألقى ثيابه بباب المسجد، ثم طاف سبعاً عرياناً، فإذا فرغ من طوافه نزعها، ثم طرحها في المسعى فلا يمسّها أحد ولا ينتفع بها، حتى تبلَى مِن وَطْءِ الأقدام، ومن الشمس والرياح والمطر. ويسمون تلك الثياب (اللقى)،

قال أهل العلم : وفي ذلك نزل قوله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}[1] ، قال ابن عباس : (والطيبات من الرزق ما حرم أهل الجاهلية من البحائر والسوائب)[2].

[1] الأعراف ٣٢

[2] تفسير البغوي

وحينما أذن ربنا الرحمن بتجلي النور الذي أرسله الله هدى للعالمين ، دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم فتح المسجد الحرام، والأصنام منصوبة حول الكعبة، فجعل يطعن بعودٍ في عيونها ووجوهها، ويقول: {جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}[1]، {جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}[2] ، ثم أمر بها فكُفِئَت على وجوهها، ثم أُخرِجَت من المسجد فحُرِّقَت، وبفضل الله تطهرت القلوب ، وتحررت العقول من براثن الشرك والجهل وعادت إلى الكعبة القدسية والطهارة التامة من الشرك وأهله، وأصبحت قبلة المسلمين التي يلتفت الناس حولها في صلواتهم، ويطوفون بها في الليل والنهار لا ينقطع طوافهم إلا في الصلوات الخمس.

إن كل مناسك الحج، بدءًا من الطواف بالكعبة، مرورًا بالصفا والمروة، ثم الوقوف بعرفة ، ثم الهبوط إلى مزدلفة، ثم المبيت بمنى، ورمي الجمرات ، وانتهاء بوداع الكعبة إنما هي تطبيق

١ الإسراء ٨١
٢ سبأ ٤٩

حي لمعنى شعار الدين ومفتاح الإسلام "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وتجديد للعهد والميثاق مع الله في الخضوع والانقياد له جل جلاله ، والاعتراف بالنعمة والفضل في الاصطفاء، قال تعالى : {هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ} [1].

وحين صدح نبي الأمة بكلمته الخالدة : (إني لأرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا) ، متشبثا بالدعوة لرب السماء – متخليا ومتنازلا عن الانتقام لشخصه وكرامته إذ ما هو إلا عبد اختار ما عند الله – امتن الله عليه ، وأتم النعمة على أمته قال تعالى :{ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[2] ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام حجة الوداع التي لم يحج من المدينة منذ هاجر عليه السلام إليها غيرها، وعرفت هذه الحجَّة **بحجَّة الوداع**؛

---

١ سورة الحج ٧٨

٢ البقرة ١٥٠

لأنَّه صلى الله عليه وسلم ودَّع النَّاس فيها ولم يحجَّ بعدها ،**وحجَّة** البلاغ؛ لأنَّه صلى الله عليه وسلم بلَّغ النَّاس شرع الله في الحجِّ قولًا وعملًا، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيءٌ إلا وقد بيَّنه، فلمَّا بيَّن لهم شريعة الحجِّ، ووضَّحه، وشرحه، أنزل الله عليه، وهو بأعلى جبل عرفة{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا[1]}

[1] المائدة ٣

وقبل البدء بالحديث عن أمر الحج ومبدأ أمر البيت العتيق وجب علينا العروج على قصة باني البيت، ورافع قواعده خليل الرحمن، وأبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأسرته الصغيرة التي قامت على الإبتلاء والتسليم لرب العالمين ، والتي حولها تدور مناسك الحج والعمرة تخليدا وتكريما لهم من رب البيت العتيق ، حتى تكون دروس الحج فيض من نور يهدي كل من لبى وطاف مستشعرا حقيقة عبودية الحج ، مستلهما دروس التربية الربانية التي ربى عليها أنبيائه

قال تعالى : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ* ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ}[1].

إن قصة الخليل عليه السلام تدور بين الابتلاء والتسليم لتكاليف

[1] النحل ١٢٠-١٢٣

جسام لا تطيقها إلا الأنفس العظيمة قال تعالى {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ}[1] فما هو نوع وحجم ابتلاء الخليل عليه السلام؟!

- ابتلي إبراهيم بالثبات على التوحيد وهو وسط قوم ضلوا فاتخذوا الأصنام آلهة تعبد من دون الله عز وجل قال تعالى : { قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ }[2] ، ووالد يصنع الأصنام بيده قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[3] ومنهم فئة تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر.

و لم يكن على الأرض مؤمن بالله الحق سوى إبراهيم عليه السلام وزجته سارة رضي الله عنها حيث قال لها: (ليس فيها مؤمن غيري وغيرك)[4] ، وهكذا ثبت إبراهيم الخليل

---

١ سورة البقرة ١٢٤

٢ سورة الأنبياء ٦٦

٣ سورة الأنعام ٧٤

٤ رواه البخاري: ٣٣٥٨، ومسلم: ٢٣٧١ .

على عبادة ربه وتوحيده سبحان الله في جو من الغربة، والكربة، والوحدة، والوحشة من الناس.

➢ رضخ للتعذيب راضيا محتسبا، قال تعالى **{قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ }**[1]

فنجاه ربه تعالى الذي ما كان ليترك خليله ولا يتخلى عنه في المحنة ، قال تعالى : **{وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}**[2] **{قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ }**[3]، إن خالق النار المحرقة هو الذي قلبها بردا وسلاما فكانت كما قال عليه السلام: مَا كُنْتُ أَيَّامًا وَلَيَالِيَ قَطُّ أَطْيَبَ عَيْشًا مِنِّي إِذْ كُنْتُ فِيهَا، وَوَدِدْتُ أَنَّ عَيْشِي وَحَيَاتِي كُلَّهَا مِثْلَ عَيْشِي إِذْ كُنْتُ فِيهَا[4]."

➢ هاجر إبراهيم عليه السلام متنقلا بين العراق والشام ومصر حاملا لواء التوحيد ، صابرا على الأذى، متحملا الغربات،

---

١ الصافات ٩٧

٢ الانبياء ٧٠

٣ الأنبياء ٦٩

٤ رواه ابن أبي حاتم وابن عساكر وأبو نعيم .

والكربات، مستئنساً بعبوديته الخالصة لخالق الأكوان ومدبر الأمر من فوق سبع سماوات ، قد تخلى عن العوالم وتفرد بمناجاة رب العالمين جل جلاله قال تعالى : {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}[1].

- ابتلي إبراهيم بترك زوجه ورضيعه الذي ذهب شبابه شوقا لمجيئه وهو يسأل ربه{ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ [2] } {فجاءته البشرى }{فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ }[3]، وقد طعن في السن، قال ابن كثير : وولدته ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة [4].

فإذا الفرحة لا تدوم ، وإذا الابتلاء يهز القلب المشتاق، وإذا الأمر الإلهي الذي منح إبراهيم فلذة كبده إسماعيل يأمره بأخذه بعيدا عنه، فيستسلم الخليل للأمر خاضعا راضيا فهذا هو دأبه في

١ مريم ٤٨

٢ الصافات ١٠٠

٣ الصافات ١٠١

٤ ابن كثير ، قصص الأنبياء

الرضوخ لأوامر ربه ، فذهب بهاجر وإسماعيل ووضعهم عند مكان البيت، حتى إذا كان في مكان حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، رفع يديه ثم دعا بهؤلاء الكلمات التي خلدها الله في كتابه العزيز، قال تعالى :{ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } { رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}[1] .

نعم يا خليل الله إن الله عليم بأمرك ولا يخفى عليه خوفك على زوجك ورضيعك، ولا تخفى عليه مرارة وفجع وهلع هاجر ، لكنها صور تتكرر عبر الزمان تختبر القلوب وتمتحن مدى تعلقها بربها واستسلامها لأقداره الشرعية والكونية ، فتنجح القلوب الشامخة كقلب الخليل عليه السلام وزوجه الصابرة المحتسبة وتفشل قلوب تعلقت بالحطام .

١ إبراهيم ٣٧-٣٨

ثم يتجدد البلاء ويستمر التمحيص ، قال تعالى {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ}[1]، قال ابن عباس: لما شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل جاء التكليف الجديد قال تعالى: {قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ}[2]، وكما جاء في الأثر فإن رؤيا الأنبياء في المنام، قال ابن كثير: وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه [3].

وهنا تتجلى منحة الذرية التي تقر العين فهي التي تمضي في طريق العبودية والاستسلام الذي مضى فيه الوالد، فينجح إسماعيل كما نجح والده من قبل، وينطق بكلمات تطيب قلب الوالد الرؤوم وتعينه على بلاءه قال تعالى : {قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[4].فلما نجح الوالد والولد في اختبار الخضوع والتسليم جاءت البشرى،

١ الصافات١٠٢
٢ الصافات ١٠٢
٣ تفسير ابن كثير.
٤ الصافات ١٠٢

وفاضت عليهم المكرمة الإلهية قال تعالى: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ*وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ*قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ*وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ*وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ* سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ*كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [1].

قال ابن ابن عباس رضي الله عنهما : (وعلى إسماعيل قميص أبيض، فقال له: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكففني فيه غيره فأخلع حتى تكففني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، فالتفت إبراهيم، فإذا بكبش أبيض أقرن أعين، عيون كبيرة، كبش جميل، قال ابن عباس: لقد رأيتنا نتتبع ذلك الضرب من الكباش"[2]، يعني: في الأضاحي وغيرها نبحث عن مثل هذه الصفات.)

➢ ثم تتوالى المنح الربانية ويكرم الله الخليل عليه السلام و ولده بأسمى تكليف وأعظم مهمة:

---

١ الصافات ١٠٣-١١١.

٢ رواه أحمد

{إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}[1]

إن قصة بناء البيت بدأت منذ عهد آدم عليه السلام عندما بنته الملائكة ووضعته لآدم عليه السلام ، روي عن علي بن الحسين: أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور، وأمر الملائكة أن يطوفوا به، ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنوا في الأرض بيتا على مثاله وقدره، وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور[2] ، فحج إليه آدم أبو البشر، وحج إليه الصالحون من بعده إلى عهد نوح عليه السلام، ولما تبدلت الأرض شركاً أغرق الله الأرض بالطوفان فأزال معالم البيت العتيق الذي كان موضعه على أكمة صغيرة في وسط الوادي ، والذي سُمي فيما بعد بوادي سيدنا إبراهيم، وكانت القبائل العربية في ذلك الوقت تعرف أنه كان فوق تلك الأكمة بيتٌ للرب يُعبد،

١ الحج ٢٦

٢ أورده الأزرقي في أخبار مكة كما ذكر السيوطي في الدر المنثور

ولكن لا يُعرف تفاصيله أو شكله ، فأمر الله الخليل بأن يرفع القواعد ويعيد بناء البيت{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ }[1]، فامتاز سيدنا إبراهيم عليه السلام **أنه أول من ابتدأ بناء البيت من البشر.**

ونكمل الحديث عن تلك الأسرة الخالدة التي ارتبطت بأعظم أركان الإسلام وأعظم العبادات (**حج البيت العتيق**)، ونعرج قليلا على تلك الزوجة المؤمنة والأم الصابرة هاجر رضي الله عنها التي جاء بها الخليل من أرض مصر ذات الأنهار والزروع والثمار إلى أرض قاحلة وواد لا زرع فيه ولا ماء، عندما صدر الأمر الإلهي للخليل عليه السلام بأن يُسكن فيه ذريته، كما ورد في صحيح البخاري في الحديث الطويل (**وليس بمكة يومئذٍ أحد**) – فوضعهما هناك –، (**وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ**)، فجاء سؤال هاجر رضي الله عنها لزوجها إبراهيم عليه

---

١ البقرة ١٢٧

السلام :«**الله أمرك بهذا؟ قال: نعم**) ، إنه اختبار جديد وبلاء للزوجان وامتحان لمن اصطفاهم الله بالنبوة، فماذا كانت ردة فعل هاجر؟؟

جاء الرد من ذلك القلب المؤمن الواثق المتوكل الذي أيقن أن الأمر لله من قبل ومن بعد، وأن إبراهيم لا يملك التدخل في شأن أمضاه خالقه ، ومالك أمره فنطقت بكل ثبات ورسوخ وثقة : **إذن لا يضيعنا**».

ثم يكمل رسولنا المصطفى عليه الصلاة والسلام حديثه مخبرا عن تلك التفاصيل التي ما عاشها ولا شاهدها ولكنها أوحيت إليه وحيا صادقا خالدا تتربى أمته على دروسها فقال :

ثم رجعت، ترضع إسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر ، هل ترى أحدًا ، فلم تر أحدًا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا

بلغت الوادي رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحدًا ، فلم تر أحدًا ، ففعلت ذلك سبع مرات ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا ، فقالت : صه ، تريد نفسها ، ثم تسمعت ، فسمعت أيضًا ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال : بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعد ما تغرف، فشربت ، وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه ، **وإن الله لا يضيع أهله.**

- **نعم لم يضيع الله أهله :**
- **فلم يضيع الله** استجابات الخليل المتوالية لأوامر ترجف لها القلوب وتتصدع بها الأنفس، بل منحه الوسام الأعظم الخالد (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)[1] ، {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ

١ البقرة ١٢٤

وَالْكِتَابَ}[1] وأقر عينه بتلك الذرية (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)[2]، فحب وتعظيم الخليل إبراهيم عليه السلام خالد في القلوب ، فكما أوفى بعهد الله { وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى }[3] وفاه الله حيث جعله الله سبحانه وتعالى محل اجتماع الأمم كلها ، فالأمم الثلاث من : اليهود والنصارى والمسلمون كلهم مجتمعون على حب إبراهيم عليه السلام ، وكل يدعي أنه على ملته قال تعالى: أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى[4].

- **نعم لم يضيع الله** أهله فسعي هاجر على قدميها في الوادي الممتلئ بالصخور والأحجار والرمال والأتربة التي تنحدر مع السيول، وهي جائعة، عطشى، خائفة على ولدها، أصبح

١ العنكبوت ٢٧
٢ الانبياء٧٣
٣ سورة النجم ٣٧
٤ سورة البقرة ١٢٧

نسكا وشعيرة لا تتم عمرة ولا حج لمسلم بدون الإتيان بـــه ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – (فـــذلك ســـعي النـــاس بينهما)[1]

- **نعم لم يضيع الله** أهله فزمزم التي تفجرت لذلك الرضيع الذي تركه والده في العهدة الربانية لاتزال خالدة تسقي الملايين عبر السنين، جعله الله سقيا لحجاج بيت الله الحرام وعماره وزواره وجيرانه وهو كما أخبر عنه رسول الله – صلى الله عليـــه –: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم، وشفاء السقم» [2]

قال الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: **(رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِـــن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)**[3]: «أرسل الله الملك فبحث عن الماء، وأقامه مقام الغذاء» ، وفي صحيح مسلم : أنه لما قدم أبو ذر ليُسْلِم، أقام ثلاثين يوماً وليلةً، وليس له طعامٌ إلا زمزم، فسمن حتى تكسَّرت عُكَنُ بطنه، و لم يجد علـــى بطنـــه

---

١ رواه البخاري

٢ رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه .

٣ سورة ابراهيم ٣٧

سُخْفَة جوع ١.

ومن كرامات زمزم أنها قد غُسل بها قلب المصطفى – صلى الله عليه وسلم –: فقد شُقّ صدره الشريف – صلى الله عليه وسلم – أربع مرات كما في صحيح البخاري: مرة وهو ابن أربع سنوات وكان عند مرضعته حليمة السعدية، ومرة وهو ابن عشر سنوات، ومرة حين نبئ عند مجيء جبريل عليه السلام بالوحي إليه، ومرة رابعة ليلة الإسراء والمعراج حين عرج به إلى السماء الدنيا. وفي ذلك كله حكم عظيمة، فقد خص الله تعالى ماء زمزم ليغسل به قلب الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم –، و لم يغسل إلا به لأنه أفضل المياه.

وهذه البئر المباركة المعجزة تضخ ما بين (١١) إلى (١٨.٥) لترًا في الثانية. فقس على هذا، كم ضخت البئر من مياه منذ نبشها بعقبه جبريل لإسماعيل وأمه هاجر عليهم السلام!! وكم أروت وتُرْوي أجيالاً وأجيالاً من البشر!! يرتوي منها حجاج بيت الله وزواره من جميع أصقاع الأرض، ويحملون منها إلى بلدانهم.

---

١ فَسَمِن حتَّى «تكسَّرَتْ» أي: انْثَنَتْ «عُكنُ بَطنِي» جمعُ عُكْنَةٍ، وهو الطَّيُّ الَّذي يكونُ في البطنِ لِأَجْلِ السِّمَنِ، ولم يَجِدْ على كَبِدِه «سخفةَ جوعٍ» أي: رِقَّةَ الجوعِ وضعْفَه وهُزالَه

أيها الحاج الكريم: يامن وفدت على رب كريم دعاك فأجبته، فلتهنأ نفسك فأنت في وفادة ملك السماوات والأرض، أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين وليكن لسان حالك في رحلتك **(إذن لن يضيعنا الله)** كما ظنت تلك المرأة الضعيفة الجسد الخاوية من كل رزق، واليائسة من كل سند، القوية الإيمان العزيزة النفس التي ارتضت بالله ربا، ورضخت لأحكامه شرعا وقدرا.

نعم لقد سخر الله لك الأمر حتى وصلت إلى البيت العتيق الذي دعا له من رفع قواعده وأسس بنيانه طائعا لربه خاضعا لأمره فسأل الله الأمن له: قال تعالى على لسان الخليل عليه السلام :

رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا [1]

فجعله حرماً لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يظلم فيه أحد، ولا يصاد صيده، ولا يختلى خلاه، ولا يقطع حشيشه، ولا يعضد شجره.

وسأل الله لهم الرزق : قال تعالى : (وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) [1] ، سأل سيدنا إبراهيم ذلك؛ لأن مكة لم يكن فيها

---

١ إبراهيم ١٢٦

زرع ولا ثمر، فاستجاب الله تعالى له فصارت يجبى إليها ثمرات كل شيء ، فأنت في مأوى الأمان في البقعة المباركة التي اختارها رب العزة خالق السماوات السبع والأرضين السبع (الذي أفاض الخيرات على ما شاء من البلاد وأجرى الأنهار والوديان بأمره وقدره، وأزهر ما شاء من ملكوته فجعلها بساتين ذات بهجة وارفة الظلال، يانعة الثمار)، واختار لبيته أن يقام في ذلك الواد الذي جعله بلا ماء ولا زرع ولا ثمر، فكانت بكة على فقرها الجغرافي ملاذ الخائف وأمان المستجير، إنها دعوة سيدنا إبراهيم للبيت: قال تعالى : (فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ)[٢] ، قال ابن عباس رضي الله عنه : لو قال أفئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم، واليهود والنصارى، والناس كلهم، ولكن قال من الناس، فاختُصَّ به المسلمون[٣].

وستظل مكة بقفارها وجبالها الصماء وشعابها الوعرة وحرها وصعوبة طقسها ، كما قال تعالى: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ

١ إبراهيم ٣٧
٢ إبراهيم ٣٧
٣ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم.

وَأَمْنًا)[1]: وكلمة (مثابة) من الثوَب، وهو الرجوع بالكلية، وليس مجرد رجوع فقط، إنما رجوع مع انجذاب القلب كما يجذب المغناطيس الحديد، فهكذا حال القلوب مع هذا البيت العتيق مهوى الأفئدة تشتاق إليه الأرواح ولا تقضي منه وطراً، مهما ترددت إليه ومهما كابدت من مشقة، وأنفقت من مال ، تأتي قوافل الفقراء والمساكين تقطع المسافات وتتحمل المشاق وهي في أشد الفرح والسرور بوصولها لبيت ربها العتيق،

سل الله كم لها من قتيل وسليب وجريح وكم أنفق في حبها من الأموال والأرواح[2] ،

وهذا هو حال المؤمن المتعلق بربه ، الذي وطن النفس على أن كل ما عليها فان مضمحل ويبقى فقط

(وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وما كان منه ابتغاء وجهه الكريم جل جلاله .

وفي قصة تروى تثبت ذلك العشق الأبدي والهوى الجارف في قلوب الموحدين لهذا البيت الخالد يروى أن جماعة من المنصرين في

---

١ البقرة ١٢٥

٢ فهد العماري

أندونيسيا ظنوا أنهم أفلحوا في استعباد واستغلال الفقر والجهل والمرض عند المسلمين هناك، فأقنعوهم في الظاهر، وانقاد لهم العشرات مقابل الأدوية والأموال والملابس والإعانة؛ لأنهم في حالة فقر شديد، فاستطاعوا أن يغرروا ببعض المسلمين الجهلة، واستجابوا في الظاهر لهؤلاء المنصرين المكفرين المبشرين بالنار، حتى أفلحوا وأخذوهم إلى الكنيسة وعمدوهم في الكنيسة، فقال لهم القسيس بعدما فرغ من تعميدهم :الآن نريد أن نكافئكم على دخولكم في النصرانية، كل واحد يطلب الأمنية التي يحبها، ونحن ننفذها له مهما كانت، فبصوت واحد أجابوا جميعاً وقالوا :الحج إلى مكة! ونسوا كل شيء، لماذا؟ لأن القلوب تهوي إلى هذا البيت الحرام، وكل مؤمن في قلبه إيمان وحب لله ورسوله عليه الصلاة والسلام يجد هذا الانجذاب، وهذا أثر إجابة دعوة إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام[1].

١ تفسير القرآن الكريم لمؤلفه محمد أحمد إسماعيل المقدم.

الكعبة في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم :

كانت الكعبة في هيئة تحتاج إلى ترميم وإصلاح ، فقد كانت (مبنية بالرضم وهي : الحجارة بعضها فوق بعض ، ليس فيها مدر(**الطين اللزج**) ، وكانت غير مسقوفة، وإنما توضع ثياب عليها، ثم يسدل سدلًا عليها، وكان الركن الأسود موضوعًا على سورها، باديًا، ، وفي ذات يوم أقبلت سفينة من أرض الروم، حتى إذا كانوا بالقرب من جدة انكسرت السفينة، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا روميًا عندها، فأخذوا الخشب، أعطاهم إياه، وكانت السفينة تريد الحبشة، وكان الرومي الذي في السفينة نجارًا، فقدموا بالخشب، وقَدِمُوا بالرومي، فقالت قريش : نبني بهذا الخشب بيت ربنا، واجتمعوا لذلك، ونقلوا الحجارة، من أجياد الضواحي، قال ابن هشام[1]: (فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي[2] ، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً لا يدخل فيه مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس)، فِي رِوَايَة أُخْرَى: لَا

---

١ السيرة النبوية لابن هشام

٢ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :وَأَبُو وَهْبٍ خَالُ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ شَرِيفًا،

تَجْعَلُوا فِي نَفَقَة هَذَا الْبَيْت شَيْئا أصبتموه غصبا، وَلَا قطعْتُمْ فِيهِ رحما، وَلَا انتهكتم فِيهِ ذمَّة أحد بَيْنكُم وَبَين أحد من النَّاس [1] ، فنقصوا البناء منه من جهة الحجر ، وقد جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام: لَوْلا حَداثَةُ عَهْدِ قَوْمِكِ بالكُفْرِ لَنَقَضْتُ الكَعْبَةَ، ولَجَعَلْتُها علَى أساسِ إبْراهِيمَ، فإنَّ قُرَيْشًا حِينَ بَنَتِ البَيْتَ اسْتَقْصَرَتْ، ولجعلة لها خَلْفًا، فَقالَ عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: لَئِنْ كانَتْ عائِشَةُ سَمِعَتْ هذا مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، ما أُرَى رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ تَرَكَ اسْتِلامَ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيانِ الحِجْرَ، إلَّا أنَّ البَيْتَ لَمْ يُتَمَّمْ علَى قَواعِدِ إبْراهِيمَ.

وَكَانَتِ الْكَعْبَةُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا.

وَقيل إِن الّذي حمل قُرَيْشًا على بنائها أَن السَّيْل أَتَى من فَوق الرَّدْم الّذي بِأَعْلَى مَكّة فأضربه، فخافوا أَن يدخلهَا المَاء. وَقيل بل كَانَ الّذي حملهمْ على هَذَا احتراقها وَذَلِكَ أَن امْرَأَة أجمرت الْكَعْبَة فطارت شرارة فِي ثِيَابهَا فأحرقت الكعبة.

[1] السيرة لابن هشام

معالم في البيت الحرام:

الحجر الأسود:

وهو مبدأ الطواف ومنتهاه.

جاء به جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام من السماء؛ ليوضع في مكانه من البيت فإنه لَّما ارتفع بناءُ البيتِ، ووصل إلى موضع الحجر الأسود، قال إبراهيم الخليل لابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام :أبغني حجرًا أضعه ها هنا يكون للناس عَلَمًا يبتدؤن منه الطواف، فذهب إسماعيلُ عليه الصلاة والسلام يطلب له حجرًا، فرجع فإذا بجبريل عليه الصلاة والسلام قد نزل بالحجر الأسود من الجنّة[1].

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: **«نزل الحجر الأسود وهو أشد بياضًا من اللبن فسودته خطايا بني آدم»** [2]

ومن السنة استلامه وتقبيله إن تيسر فأنه يأتي يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق[1]،

١ أخرجه الحاكم في المستدرك

٢ رواه الترمذي وحسنه.

١ أخرجه الترمذي وابن ماجه

والحقُّ: ما كان يفعَلُه النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم بـــالإخلاصِ والتَّعبُّدِ للهِ عزَّ وجلَّ، ولا يكونُ استِلامُه بقصْدِ الرِّيـــاءِ، أو بتَعظيمٍ وتقديسٍ للحجَرِ نفْسِه.

وقد جاء عن عمر رضي الله عنه "أنه جاء إلى الحجر الأســـود فقبله، فقال: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقبلك ما قبلتك"،[1]

والحجر محاط بإطار من الفضة الخالصة صونًا له ، ففي ســـنة تسع وثمانين ومائة لما اعتمر أمير المؤمنين هارون الرشيد ورأى الفضة قد رقت حول الحجر حتى خافوا على الركن أن ينقض ، أمر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود فثقبت بالماس من فوقها وتحتها ، ثم أفرغت فيها الفضة ،ويظهر مكان الحجر بيضاويًّا، ويظهر منه الآن ثماني قطع صغيرة مختلفة الحجم ، أكبرها بقدر التمرة الواحدة ، وأما باقيه فإنه داخل في بناء الكعبة المشرفة ، والسواد هو على الظاهر من الحجر ، أما بقية جرمه فهو على

[1] رواه البخاري

ما هو عليه من البياض ،وسطر بعض المؤرخين رؤيتهم ووصفهم للحجر الأسود عبر التاريخ.

وكان الحجر الأسود قد غاب عن موضعه من البيت ثنتين وعشرين سنة في زمن القرامطة الذين استباحوا الحرم واقتلعوا الحجر من مكانه وبقي في حوزتهم منذ سنة سبع عشرة وثلاثمائة، إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة هجرية.

وقد تكررت حوادث الاستيلاء على الحجر ومحاولات النيل منه عدة مرات خلال التاريخ.

ويذكر المؤرخون أن للحجر علامتان أنه لا يسخن بالنار وأنه لا يغوص في الماء بل يطفو عليه[1].

الركن اليماني:

هو ركن الكعبة المشرفة، وهو يسبق الحجر الأسود في الطواف، ومن فضائله هو والركن الأسود – أنهما على القواعد الأولى للبيت التي رفعها إبراهيم عليه السلام– قال ابن عباس

١ انظر الموقع الالكتروني للهيئة العامة للعناية بشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

رضي الله عنهما: **عَلَى الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ مَلَكٌ يَقُولُ: آمِينَ، فَإِذَا مَرَرْتُمْ بِهِ، فَقُولُوا :اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**[1] [2].

وفضائل هذا المكان عظيمة، ومزاياه جليلة، وأعظم فضيلة له هي أن المصطفى صلى الله عليه وسلم استلمه بيده الشريفة، فاستلامه سنة نبوية ثابتة مشروعة.

حجر إسماعيل:

حجر إسماعيل عليه السلام هو الحائط الواقع شمال الكعبة المعظمة، وهو على شكل نصف دائرة، والراجح أن القدر الذي في الحجر من البيت قدر سبعة أذرع.

قال النووي: «والجمهور بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - طاف من وراء الحِجْر، وقال: لتأخذوا مناسككم، ثم أطبق المسلمون عليه من زمنه صلى الله عليه وسلم إلى الآن، وسواء

---

١ إسناده حسن، أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٤)، في مصنفه والبيهقي (٤٠٤٦) في شعب الإيمان.

٢ البقرة ٢٠١

كان كله من البيت أم بعضه، فالطواف يكون من ورائه كما فعل النبي – صلى الله عليه وسلم.-

ويسمى الحجر أيضاً الحطيم، وروى الأزرقي[1] قال: الحطيم ما بين الركن الأسود والمقام وزمزم، والحجر سمي حطيماً لأن الناس يزدحمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم بعضاً، والدعاء فيه مستجاب.

وذكر المؤرخون أن الخلفاء تتابعوا على إصلاحات "حجر إسماعيل" حتى أصبح بصورته الحالية، وفي عهد الدولة العباسية أراد الخليفة المهدي إعادة الحجر للكعبة، فنهاه الإمام مالك عن ذلك حتى لا تصبح الكعبة وحجر إسماعيل موقعاً للآراء والبناء والهدم، مختتمًا بأن شكل الكعبة الحالي وخروج حجر إسماعيل هو الشكل الذي رآه الرسول صلى الله عليه وسلم وطاف به.

١ الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار

مقام إبراهيم:

قال تعالى: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى[1]

لَمَّا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ اسْتَعَانَ الخليل عليه السلام بالمقام عَلَى رَفْعِ قَوَاعِدِ البيت وَالْجُدْرَانِ، حَيْثُ كَانَ يَقِفُ عليه ويُناوله إِسْمَاعِيلُ، وَقَدْ كَانَ مُلْتَصِقًا بِجِدَارِ الْبَيْتِ، حَتَّى أَخَّرَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي إِمَارَتِهِ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّرْقِ، بِحَيْثُ يَتَمَكَّنُ الطُّوافُ منه، وَلَا يُشَوِّشُونَ عَلَى الْمُصَلِّينَ عِنْدَهُ بَعْدَ الطَّوَافِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ عِنْدَهُ

قال تعالى: (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ)[2] قَالَ مُجَاهِدٌ: أَثَرُ قَدَمَيْهِ فِي الْمَقَامِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ.

وقال أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة:

وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً

عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلِ

---

١ البقرة ١٢٥

٢ ال عمران ٩٧

ومن دقق النظر داخل هذه القبة الزجاجية رأى الحجر بالفعل، وعليه موضع قدمي إبراهيم عليه السلام كالحفر، وموضع القدمين واضح جداً في الحجر نفسه.

وهذا الحجر كما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أصابع إبراهيم عليه السلام كانت ظاهرة فيه، وأنس من صغار الصحابة كان يقول بأنه أدرك الحجر وأن أصابع قدم إبراهيم كانت ظاهرة فيه، وطبعاً الأصابع الآن غير ظاهرة وإنما الموجود أثر قدم ليس لها آثار الأصابع، ويذكر أن ذلك قد ذهب بسبب مسح الناس عليها، **وهذا من أعجب الأمور؛ وذلك أن تلك الآثار بقيت تلك المدة الطويلة ومرت بفترة الجاهلية وهم أهل أوثان ثم ذهبت في مدة يسيرة حيث أدركها أنس وجوداً وعدماً بسبب مسح الناس عليها مما يدل على أثر وسوسة الشيطان التي يؤز بها الناس من أجل دفعهم إلى التشبث بالأحجار وما إلى ذلك من وسائل الشرك .**

الملتزم:

الملتزم هو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة، وسمي بالملتزم لأن الناس يلتزمونه ويدعون عنده، وفضله عظيم، ووردت الآثار بأنه من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله - وإنْ أحبَّ أنْ يأتيَ الملتزم – وهو ما بين الحجر الأسود والباب – فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفيه ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته فعل ذلك، وله أنْ يفعل ذلك قبل طواف الوداع فإنَّ هذا الالتزام لا فرق بين أنْ يكون حالَ الوداع أو غيره، والصحابة كانوا يفعلون ذلك حين دخول مكة.[1]

المسعى :

ظل المسعى على مدى ثلاثة عشر قرنًا ونصف القرن التراب فراشه والسماء سقفه ، وقد كان الوادي نازلاً حتى إن الشخص كان يصعد درجًا كثيرة ليرى البيت الحرام .

---

١ مجموع الفتاوى

وفي خلافة أبي جعفر المنصور قام عامله على مكة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس بإنشاء اثنتي عشرة درجة على الصفا ، وخمس عشرة درجة على المروة؛ وذلك لتسهيل الصعود عليهما .

وفي عام ١٣٤١هـ في عهد الملك الشريف الحسين تم عمل مظلة لشارع المسعى تقي الساعين من حر الظهيرة .

وفي صورة تنقلنا عبر التاريخ يصف ابن بطوطة المسعى عندما قام برحلته للحج عام ٧٢٥هـ ، فيقول : « **وبين الصفا والمروة مسيل فيه سوق عظيمة ، يباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه ، والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون يخلصون لازدحام الناس على حوانيت الباعة ، وليس بمكة سوق منتظمة سوى هذه إلا البزازون والعطارون عند باب شيبة ، وبين الصفا والمروة دار العباس رضي الله عنه ، وهي الآن رباط يقطنه المجاورون ، عمَّره الملك الناصر رحمه الله ، وبنى أيضًا دار وضوء فيما بين الصفا والمروة سنة ثمان وعشرين ، وجعل لها بابين أحدهما في السوق المذكور والآخر في العطارين** »

خدمة الكعبة:

خدمة الكعبة تسمي بالحجابة، وخدام الكعبة يسمون بسدنة الكعبة، وهم جماعة مخصصون يتوارثونها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى الآن وهم المعروفون ببيت بني شيبة ، حيث قال لهم صلى الله عليه وسلم: {خذوها خالدة تالدة لا يترعها منكم إلا ظالم}، وقد سلم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة، وشيبة بن عثمان بن طلحة بعد فتح مكة المكرمة، وقال قولته، ولا زالت الحجابة في نسل شيبة بن عثمان حتى اليوم ،وكان أول من قام بخدمة الكعبة الخليل إبراهيم عليه السلام، ومنه آلت خدمة الكعبة إلى ولده إسماعيل عليه السلام، وبعد إسماعيل صارت لأولاده إلى أن اغتصبها منهم أخوالهم بني جرهم، ثم استولت عليها خزاعة عنوة، ومكثت فيهم عدة قرون، إلى أن آل أمر مكة والكعبة إلى قصي القرشي وهو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم أسلم قصي أمور السدانة إلى ولده الأكبر عبد الدار، فظلت كذلك جاهلية وإسلاماً، إلى أن استقر بها المقام عند شيبة بن عثمان بن طلحة وذريته من بعده .

تعظيم البيت الحرام وخصائصه :

التعظيم هو **التقدير والإجلال الذي ينبعث من القلب لأمر ما حسيًّا كان أو معنويًّا، وقد يقترن بالمحبة له والهيبة منه.**

فالتعظيم يعني إجلالَ المعظَّم وتقديرَه وإظهار تميّزه عن غيره؛ لذا كانت قريش في الجاهلية يحرمون أن يسكنوا مكة، ويعظمون أن يبنوا بها بيتًا، وكانوا يكونون بها نهارًا، فإذا جاء الليل خرجوا إلى الحل، ولا يستحلون الجناية بمكة، فأذن لهم قصي أن يبنوا في الحرم.

قال الحسن البصري: ما أعلم اليوم على وجه الأرض بلدةً تُرفع فيها من الحسنات وأنواع البر، كلُّ واحدة منهما بمئة ألف ما تُرفع بمكة، وما أعلم أنه يترل في الدنيا كلّ يوم رائحة الجنة ورَوْحُها ما يترل بمكة، ويقال: إن ذلك للطائفين.

آداب المجاورة والمكث في مكة :

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم" :- **لا تزال هذه الأمة بخير ما عَظّموا هذه الحرمةَ حَقّ تعظيمها، فإذا ضَيّعوا**

ذلك، هلكوا" [1]

فمن أراد المجاورة بها ينبغي له أن يتأدب بآداب أهل التقى

ومن هذه الآداب :

١ - ألا يخطر بباله معصية قطٌّ مدة مكثه بمكة، ولو في بيته، فضلًا عن المسجد الحرام، فضلًا عن الطواف، فضلًا عن الصلوات، فمن لم يعلم من نفسه السلامةَ، فلا ينبغي له الإقامةُ هناك حتى يجاهد نفسه، ولهذا احتاط ابن عباس رضي الله عنه لنفسه، فسكن الطائف دون مكة، وكذلك كره الإمام مالكٌ المجاورةَ بها، وقال :ما لنا ولبلد تُضاعف فيها السيئات كما تُضاعف الحسنات، ويؤاخذ الإنسان فيها بالخاطر؟

والمعصيةُ فيها أشدٌّ وأكبر من غيرها؛ لشرف المكان، والعاصي فيها أسوأ حالاً وأقبح مآلاً؛ لقلة مبالاته بسخط الرحمن، كيف! والمعصية -وإن كانت فاحشة حيث وجدت- لكنها في حضرة الإله وفِناء بيته ومحلِّ اختصاصه وحرمه أفحشُ وأقبح،

[1] رواه ابن ماجه وحسنه الحافظ ابن حجر

وأمرُ الذنب بها عظيم، فليبادر الإنسان من حينِ نزوله بهـــا إلى الذل والانكسار، والتوبة والافتقار، والندم والاستغفار ،

وقد حرَّر ابن القيم مسألة مضاعفة السيئات بمكة بعبارة حسنة حيث قال: (ومن هذا تُضاعف مقادير السيئات فيـــه [أي في الحرم] لا كمياتها؛ فإن السيئة جزاؤها سيئة، لكن سيئة كبيرة وجزاؤها مثلها، وصغيرة جزاؤها مثلها؛ فالسيئة في حـــرم الله وبلده وعلى بساطه آكد وأعظم منها في طرف من أطـــراف الأرض؛ ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمـــن عصاه في الموضع البعيد من داره وبساطه؛ فهذا فصل النزاع في تضعيف السيئات، والله أعلم)[1]

قال ابن القيم رحمه الله: (ومن خواصه[أي الحرم] أنه يُعاقَـــب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها، قال تعالى: **(وَمَنْ يُـــرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)** ، وقال الشـــيخ ابـــن عثيمين رحمه الله : " إن قوله : (ومن هم بسيئة فلم يعملها

---

١ زاد المعاد ٥١/١

كتبت له حسنة) هذا في غير مكة وتكون مكة مستثناة من ذلك ، أي : أنه يؤاخذ الإنسان فيها بالهمّ [1] .

فعليك أيها الحاج أن تتعاهد تعظيم البيت، وتعظم وجودك في هذه البقعة المباركة ، حريصا على حفظ وقتك فيه بالطاعات، والقربات من الدعاء و الذكر و الصلاة و الإستغفار و قراءة القرآن .

قال ابن مسعود:" ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، و لم يزدد فيه عملي"، فكيف إذا كانت أيام الحج ، والتي تدخل فيها أعظم أيام الدنيا (العشر من ذي الحجة) ، وأنت قد امتن الله عليك فوُفقتَ لأعظم عبادة في هذه الأيام ، واصطفيت لتكون من وفد البيت المعظم ، **فياله من فضل تحسَّر غيرك على فواته أيما حسرة** .

١ لقاء الباب المفتوح

البلد الأمين :

قال تعالى : (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِين)[1](وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا)[2]، (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا)[3]،

وقال سبحانه : (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)[4]، وقال –تعالى-: (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا)[5]، وقال –تعالى-: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا}[6]، وقال جل جلاله : (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)[1].

لقد أودع ربنا تعالى في مكة معالم الدين: ففيها الكعبة قبلة المسلمين، وفيها مقام إبراهيم، والصفا والمروة، وزمزم، وغير

---

١ التين ٣
٢ البقرة ١٢٦
٣ البقرة ١٢٥
٤ ال عمران ٩٧
٥ القصص ٥٧
٦ قريش ٣
١ قريش٤

ذلك من شعائر الله، فكلها آمنة بتأمين الله لمكة إلى يوم القيامة ، فحفظ لها الأمن إلى آخر الزمان .

فمن الواجب على قاصدي الحرم من الوافدين وغيرهم أن لا يهتكوا حرمة الحرم بإيذاء المسلمين وأن يترفقوا بهم ، فإن من دخل البيت آمن بأمان الله، بل كان ذلك معروفاً في الجاهلية فإن الرجل منهم يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا يؤذيه حتى يخرج.

من فضائل البيت الحرام :

أن قاصده –منذ خروجه من بيته إلى وصوله إليه وطوافه به– يكتب الله تعالى له بكلِّ خطوة يخطوها حسنة؛ ويمحو عنه بها سيئة، ومن الآثار التي وردت في ذلك:

أ– عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة**

ويمحو عنك بها سيئة» [1].

ب- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنك إذا خرجتَ من بيتك تَـؤُمُّ البيـتَ الحرامَ؛ لا تضعُ ناقتُك خُفّاً، ولا ترفعه؛ إلا كتبَ الله لك به حسنةً، ومحا عنك خطيئةً» [2].

ج- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: "من طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه كان كعتق رقبة"، وسمعته يقول: "لا يضع قدماً ولا يرفع أخـرى إلا حط الله عنه خطيئة وكتب له بها حسنة" [1].

د- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنَّ لك من الأجرِ إذا أَمَمْتَ البيـتَ العتيقَ أن لا ترفع قدماً أو تضعَها أَنتَ ودابتُك؛ إلا كُتِبَتْ

١ رواه عبدالرزاق في مصنفه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٣٦٠)

٢ [رواه البزار في مسنده، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١١٢)].

١ "[أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في سنن الترمذي (٩٥٩)].

لك حسنةٌ، ورُفِعَتْ لك درجةٌ» [1].

مضاعفة الصلوات :

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: « صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» [2]

.قال الطبري :إن حسنة الحرم مطلقاً بمئة ألف حسنة؛ لكن المسجد مخصوص بتضعيف زائد على ذلك، الصلوات بمسجده – صلى الله عليه وسلم – بألف صلاة، كلٌ صلاة بعشر حسنات، فتكون عشرة آلاف حسنة، والصلاة بالمسجد الحرام بمئة صلاة بمسجده – صلى الله عليه وسلم –، فتكون بألف ألف حسنة.

١ [رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١١٣)].

٢] رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.[(1155)

قال أبو بكر النقاش[1] :فحسبتُ ذلك، فبلغت صلاةٌ واحدة في المسجد الحرام عمرَ خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة، وأما صلاة يوم وليلة في المسجد الحرام، وهي خمس صلوات عمرَ مئتي سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال[2] .

لقطة مكة :

اللقطة: اسم للشيء الذي تجده ملقى فتأخذه ، واللقطة بشكل عام لها أحكام فقهية ، ولكن لقطة مكة لها حكم خاص.

قال العلامة ابن باز رحمه الله : لقطة الحرم –مكة المكرمة– لا يجوز أخذها إلا لمن يعرفها[1]؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد، يعني: معرف : ساقطة مكة، ما يكون في الحرم من اللقطات والضوال لا يجوز التقاطه إلا

---

١ من علماء القرآن والتفسير

٢]مثير العزم الساكن.[(1/359)

١ هو المناداة عليها في المجامع العامة حول مكانها كالأسواق، وأبواب المساجد، والمدارس ونحو ذلك، أو الإعلان عنها في وسائل الإعلام المباحة.

لمن يعرفه، لعله يجده صاحبه في مجيئه إلى مكة في الحج والعمرة، فالواجب عليه إذا رأى لقطة في الحرم من دراهم أو أمتعة أو شبه ذلك مما له مالية أنه يعرفه، يلتقطه ويعرفه، أو يتركه في مكانه يأخذه غيره، فإن لم يعرفه وجب أن يسلمه للمسئولين في الحرم عن اللقطات، إلا إذا كان الملتقط شيئاً قليلاً حقيراً فلا حرج، مثل الخمسين ريال وأشباهها، هذه اليوم تعتبر حقيرة في مثل البلاد السعودية، تعتبر لقطة حقيرة، ثم لو تركها لديست وأتلفت، فهذه اللقطة إذا أكلها أو تصدق بها، أو جعلها في ماء زمزم ووزعها على الناس، كل ذلك لا بأس به كله طيب؛ لأنها حقيرة وقليلة، فإن أكلها فلا بأس، وإن تصدق بها فلا بأس، وإن جعلها في ماء زمزم ووزعه على الناس فلا بأس، كل هذا إن شاء الله طيب ولا حرج فيه، والحمد لله.

مبدأ أمر الحج :

قال تعالى : (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)[1]

عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ قالَ: لَمّا فَرَغَ إبْراهِيمُ مِن بِناءِ البَيْتِ قالَ: رَبِّ، قَدْ فَرَغْتُ، فَقالَ: أذِّنْ في النّاسِ بِالحَجِّ. قالَ: رَبِّ وما يَبْلُغُ صَوْتِي؟ قالَ: أذِّنْ وعَلَيَّ البَلاغُ. قالَ: رَبِّ كَيْفَ أقُولُ؟ قالَ: يا أيُّها النّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الحَجُّ إلى البَيْتِ العَتِيقِ. فَسَمِعَهُ مَن بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، ألا تَرى أنَّهم يَجِيئُونَ مِن أقْصى الأرْضِ يُلَبُّونَ ؟[1]

المبادرة بالحج :

قال تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}[2] ، وقال سبحانه: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ[3]

عن سفيان الثوري أنه قال في هذه الآية : إتمامهما أن تحرم من أهلك ، لا تريد إلا الحج والعمرة ، وتهل من الميقات ليس أن

---

١ الحج ٢٧

١ رواه الحاكم والبيهقي وابن شيبة

٢ آل عمران ٩٧

٣ البقرة ١٩٦

تخرج لتجارة ولا لحاجة ، حتى إذا كنت قريبا من مكـــــــة قلت : لـــــو حججت أو اعتمرت ، وذلك يجزئ ، ولكن **التمام أن تخرج له ، ولا تخرج لغيره** .

وقال رسول الله – صلى الله عليه **وسلم" :-** **يا أيها النـــاس! قد فُرض عليكم الحجّ فحُجّوا** "أخرجه مسلم، والنسائي.

وقال صلى الله عليه وسلم :- **العمرةُ إلى العمرة كفارةٌ لمـــا بينَهما، والحجّ المبرورُ ليس له جزاء إلا الجنة** [1] "

قال أهل العلم : وهو الذي لا معصية فيه –ولو صغيرة– مـــن حين الإحرام إلى التحلل الثاني .

قالوا ومعناه : لا يقتصر فيه على تكفير بعض الذنوب، بـــل لا بد أن تبلغ به إلى الجنة بفضل الله وكرمه،

فرجاؤنا من المنان أن يمتن علينا بالقبول فقد وعدنا جل جلاله بقوله : (أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ)[2]

---

١ رواه البخاري ومسلم

٢ آل عمران ١٩٥

فيا حجاج البيت أحسنوا النوايا وأحسنوا الظن بربك كـــريم قال رسول الله – صلى الله عليه وســـلم –: **إنمـــا الأعمـــال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى،**

فاستحضروا نية تلبية نداء ربكم والاقتداء بسنة نبيكم وكونوا أهلا لأن يباهي بكم الملك ملائكته يوم الموقف .

فضل الحج :

الفريضة الخامسة من فرائض الإسلام والركن الخامس من أركان الدين، **والْحَجُّ يَجْمَعُ مَعَانِيَ الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا، فَمَنْ حَجَّ فَكَأَنَّمَا صَامَ وَصَلّى وَاعْتَكَفَ وَزَكّى وَرَابَطَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَغَزَا**،[1]

وحكمة تركب كلمة (الحج) من الحاء والجيم: الإشارة إلى أن الحاء من الحلم، والجيم من الجرم - فكأن العبد يقول :يا رب جئتك بجرمي – أي ذنبي – لتغفره بحلمك[2].

سُئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: **أيُّ الأعمال أفضل؟ قال" :إيمان بالله ورسوله"، قيل :ثم ماذا؟ قال" :الجهاد في سبيل الله"، قيل :ثم ماذا؟ قال" :حج مبرور[3]"**

وعن ابن عمر، قال :سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم -يقول" **:ما ترفعُ إبلُ الحاج رجْلًا، ولا تضع يداً، إلا كتب**

١ الحليمي مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج .
٢ ذكره ابن عماد ، كشف الأسرار عما خفي من الأفكار
٣ رواه البخاري ومسلم

الله له بها حسنةً، ومحا عنه سيئةً، ورفع له درجة [1] "، وعن أبي هريرة –رضي الله تعالى عنه–، قال :سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول" :من جاء يؤُم البيتَ الحرام، فركبَ بعيره، فما يرفع خُفاً، ولا يضع خفاً، إلا كتب الله بها حسنةً، وحطّ عنه خطيئةً، ورفع له بها درجة، حتى إذا انتهى إلى البيت، فطاف، وسعى بين الصفا والمروة، ثم حلق أو قَصّر، إلا خرج من ذنوبه كيومَ ولدته أمه[2] "

وعنه قال :قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "الحُجّاج والعُمّار وَفْدُ الله تعالى، إن دَعَوْهُ أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم" [3]

وعنه – صلى الله عليه وسلم –: أنه قال" :النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله، الدرهم بسبع مئة ضعف"[4]

---

١ أخرجه البيهقي، وابن حبان في "صحيحه."

٢ أخرجه البيهقي.

٣ أخرجه النسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان في "صحيحهما"

٤ رواه أحمد وإسناده حسن لغيره

مسألة :

من قصد مكة لعمل خاص وهو لا يريد حجاً ولا عمرة، فلا يلزمه الإحرام لدخول مكة على الصحيح ويؤيده حديث جابر :أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل يوم فتح مكة وعليه عِمامة سوداءُ بغير إحرام، رواه مسلم، والنسائي.

قال الشوكاني :قد كان المسلمون في عصره – صلى الله عليه وسلم – يختلفون إلى مكة لحوائجهم، و لم ينقل أنه أمر أحداً منهم بإحرام .

الحج مناسك ومشاعر

منذ أن فرض الله الحج وأذن بالأمر الخليل عليه السلام ، تدور مناسك الحج بين أعمال وألفاظ ومشاعر يتحرك بينها حجاج بيت الله الحرام كل عام ،وأعمال الحج كلها تعبدية محضة، قائمة على الخضوع والإذعان فيؤديها الحجاج امتثالا وتنسكا، وقال بعض أهل العلم أنه ليس من أفعال الحج ولوازمه شيء إلا وفيه حكمة بالغة، ونعمة سابغة، ونبأ وشأن وسر يقصر عن وصفه كل لسان.

الحج التزام وانضباط يفوق أيِّ انضباط يعرفه أهل الدنيا في حركة حياتهم

خطوات التأهب

من آدابِ السَّفرِ التي على المُسلِمِ أن يَحْرِصَ عليها في كل حين وفي كل سفر وفي سفر الحج خاصة :

- المبادرةُ بالتَّوبة من جميعِ الذُّنوبِ والمعاصي، والخروجُ عن مظالمِ النَّاسِ.
- كتابَةُ وصِيَّتِه وما له، وما عليه من دينٍ، والإشهاد على ذلكُ، وقضاءُ ما يُمكِنُه منَ الدُّيونِ، وردُّ الودائعَ، وتوكِّيلُ من يقضي ما لم يتمكَّنْ من قضائِه مِن دُيونِه.تأمين النفَقَةً لأهلِه ولِمَن يَلْزَمُه نَفقَتُه إلى حينِ رُجوعِه.
- أن تكون نفَقَتُه طيِّبةً حَلالًا بعيدةً من الشُّبَهِ ، وان يكون طيبَ النفس بما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن؛ فإن ذلك من دلائل قبول حجّه؛ فإن المصيبة في طريق الحج تعدل النفقةَ في سبيل الله، وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد، فله بكل أذًى احتمله وخسرانٍ أصابه ثوابٌ، ولا يضيع منه شيء عند الله[1].

١ القنوجي حسن ، رحلة الصديق

وأمولنا مبذولة ونفوسنا

ولم نبق منهما شيئا ما بذلنا

عرفنا الذي نبغي ونطلب فضله

فهان علينا كل شيء بذلناه

فمن عرف المطلوب هانت شدائد

عليه ويهوى كل ما فيه يلقاه[1]

- أن يكون غيرَ مستكثر من الزينة، ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر، فيكتب في ديوان المتكبرين، لا يسرف في التنعُّم والترفُّه والتزيُّن؛ فإن ذلك بعيد عن المسكنة التي هي مقصودة بعبادة الحج وفي الحديث: "إنما الحاج الشعثُ التَّفِلُ، يقول الله تعالى: انظروا إلى زوار بيتي، قد جاؤوا شُعْثاً غُبْراً من كل فجٍّ عميق"، وقال تعالى: {لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ}[2] والتفث: الشعث، والاغبرار، وقضاؤه بالحلق وقصِّ الشارب والأظفار)[3].

١ الأمير الصنعاني، مثير الغرام

٢ الحج ٢٩

٣ المرجع السابق

- أن يتعَلَّمَ ما يُشرَعُ له في حَجِّه وعُمْرَتِه، ويتفَقَّهَ في ذلك، ويسأل عما أَشْكَلَ عليه، وأنْ يستصْحِبَ معه كتابًا واضحًا في أحكامِ المناسِك جامعًا لمقاصِدِها.
- استشعار الفضل العظيم والمنة بتيسير الذهاب للحج.
- الإكثارُ مِن ذِكْرِ اللهِ، وتلاوةِ القُرآنِ، والدُّعاءِ، والتسبيح إذا هَبَط، والتكبير إذا علا مرتفَعًا، لحديث جابر قال : «**كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبَّحنا**»[1] والتعوُّذ بكلماتِ اللهِ التَّامَّات مِن شَرِّ ما خَلَقَ، إذا نزل في مكانٍ والدُّعاء عند السَّحَر .
- ينبغي له أن يستعمِلَ الرِّفقَ وحُسْنَ الخُلُقِ، ويتجنَّبَ المخاصَمَة، ومزاحمةَ النَّاسِ في الطُّرق، وأن يصونَ لِسانَه من الشَّتْم والغِيبَة وجميعِ الألفاظِ القبيحةِ، وأن يحفَظَه من الكَذِب والغِيبة، والنَّميمَة والسُّخرِيَة، وكثرَةِ القِيلِ والقال،

١ رواه البخاري

والخَوْضِ فيما لا يعنيه، والإفراطِ في المزاحِ. وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن أثر الحج، فقال: "**إطعامُ الطعام، ولينُ الكلام**"،[1] **ويكفُّ لسانه إلا عن الخير، وجوارحَه إلا عن المعروف، وإعانة الملهوف، ويحتمل للجافي جفاه، وللموذي أذاه؛ فقد ورد أنها ما تجهزت رفقةٌ للحج، إلا جهز إبليسُ معها رفقةً من أجناده، تأزُّهم إلى الشر، وتبعدهم عن الخير، فالسعيد مَنْ عصمَه الله عن ذلك.**

- وينبغي ألا يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجمالِه وخادمِه وغيرِهم من أصحابه، بل يخفض جناحه، ويُلين جانبه للسائرين إلى بيت الله؛ إذ ليس حسن الخلق كفَّ الأذى، بل احتمال الأذى، وقيل: سمي السفر: سفراً؛ لأنه يُسْفِر عن أخلاق الرجال[2]، فيطلَبُ صُحبَةِ الأخيارِ مِن أهْلِ الطَّاعةِ في السَّفَر، ويستحضر في قلبه أن الله في عون العبد ما

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك

٢ القنوجي ، رحلة الصديق إلى البلد العتيق

كان العبد في عون أخيه فيتعاهد إخوانه من حجاج بيت الله ويبذل لهم كل ما بوسعه فهم أكرم وفد على الله .

◆ومن المهمات في سفر الحاج أن يلتزم ما أمر الله به الحجاج من ترك الجدال فيكون ملتزما راضيا بإتباع التعليمات وعدم مخالفتها القواعد و الشروط التي فُرِضت إنما هي من أجل تنظيم الحج ، وتسهيل الحركة و... فالذي ينبغي للحـــاج إتباعها وعدم مخالفتها لما في ذلك من المصلحة العامة .

قبل الشروع في السفر يستحب:

- صلاة ركعتين في المترل قبل الخروج قال النووي : يُسْتَحَبُّ إِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْ مَنْزِلِهِ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ"[1] ،"وَعَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما (إِذَا خَرَجْت فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ)[2].
- توديع أهلَه وجيرانَه وأصْدِقاءَه وأحبابَه، ويودعونه بما ورَدَ في السُّنَّة : دعاء الاستيداع (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك **ولا يسن في غير هذا** الموضع كما كثر استعماله هذه الأزمنة عند الكثير فيستودعون الأبناء والأزواج والبيوت في كل يوم بهذا الدعاء وهذا لم ترد به السنة **ولا يشرع**.
- زودك الله التقوى وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيثما كنت – اللهم أطو عنه البعد وهون عليه السفر[3].

١ النووي - المجموع
٢ أخرجه البزار من رواية أبي هريرة
٣ أحمد والترمذي ابن ماجه والنسائي.

◆السنة أن يدعو عند خروجه بما صح عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : ما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته قط إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: اللهم إني أعوذ بك أن أظِل أو أُظل، أو أذل أو أُذَل، أو أَظلِم أو أُظلَم، أو أجهل أو يُجهل عليّ ، ويدعو بما في حديث أنس رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا خرج الرجل من بيته فقال: باسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله .

◆فإذا ركب دابته أو سيارته أو طائرته أو غيرها من المركوبات استحب له أن يسمي الله سبحانه ويحمده ، ثم يكبر ثلاثا ، ويقول : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) [1]

اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطو عنا بعده ،

١ الزخرف ١٣-١٤

اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظـــر ، وســـوء المنقلب في المال والأهل.

ويستشعر القدوم على الله جل جلاله .

الميقات

من هنا تبدأ أولى خطوات التهيؤ للقدوم على ملك السماوات والأرض ، باستحضار الحمد والشكر للمنة العظيمة فأنت اليوم ممن قال الله تعالى فيهم (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي)[1] وها أنت قد دخلت في قوله تعالى : (يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)

وليكن قلبك خاشعا بين رجاء القبول وخوف الرد .

يستحب الاغتسال عن إرادة الإحرام بحج أو عمرة أو بهما، ولا يجب هذا الغسل، وإنما هو سنة متأكدة؛ لما روى زيد بن ثابت رضي الله عنه) **:أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تجرد لإهلاله واغتسل**[2] ،ويجوز الاغتسال في البيت مسبقا .

ويستشعر المؤمن أنه كما طهر بدنه للدخول إلى حرم الملك الديان فلابد له من تطهير قلبه من أدران الشرك والمعاصي فإن عليه مدار الأمر كله.

١ ابراهيم ٣٧
٢ رواه الترمذي

ويستحب أن يتطيب في بدنه عند إرادة الإحـــرام، لمـــا روت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : **كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ**[1] ، وقولها : **كنا نخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة فنضـــمد جباهنا بالمسك المطيب عند الإحرام، فإذا عرقت إحدانا سال على وجهها فيراه النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينهاها**[2].

وهذا الحكم في تطيب النساء إذا كان طوافهن وسعيهن في غير ازدحام واختلاط بالرجال، وإلا فلا يجوز لهـــن أن يخـــتلطن متطيبات حتى لا يفتن الرجال.

فإذا تطيب المحرم فله استدامته بعد الإحرام، ولو انتقل الطيـــب من موضع إلى موضع بالعرق فلا شيء عليه، ولو مسه بيـــده عمداً فعليه الفدية، ولا يستحب تطييب ثوب المحرم، فإن طيبه ولبسه ثم أحرم واستدام لبسه جاز، فإن نزع الثوب الذي عليه الطيب فينبغي ألا يلبسه حتى يزيل ما به من طيب.

---

١ رواه البخاري

٢ رواه أبو داوود .

ويستحب أن يتأهب للإحرام بحلق العانة ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظافر، ويحرم عليه ذلك بعد نية الإحرام والتلفظ بالنسك .

ويجوز له : حكُّ جسده، وعليه أهل العلم، وكذا يجوز قطع الظفر الذي انكسر، وكذلك الحجامة والفصد إذا احتاج إلى ذلك، فقد ثبت في الصحيح :أنه – صلى الله عليه وسلم – احتجم في وسط رأسه وهو محرِم، ولا يمكن ذلك إلا مع حلق بعض الشعر، فجاز أن يحلق شعراً لذلك إن احتاج إليه، وكذلك إذا اغتسل وسقط شيء من شعره بذلك لم يضره، وله أن يغتسل من الجنابة بالاتفاق، وكذلك لغير الجنابة .

لباس الإحرام :

التجرد عند الإحرام من واجبات الحج والعمرة ، وفي التجرد عند الإحرام تذكر بالتجرد عن الدنيا كما كان لما خرج من بطن أمه مجردا عن الثياب، وفيه تذكر بحضور الموقف يوم الحساب – كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا

خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)[1] ، وكما تجرد من لباسه المعتاد فإنه يهيء القلب للتجرد عن كل ما نهى سبحانه ، **ويستحضر الحكمة من هذا التجرد** ، فإنه من عادة الناس إذا قصدوا أبواب المخلوقين، أن يتلبسوا بأفخر ما وجدوا من اللباس، فكأن المولى عز وجل سبحانه يهيئ لعباده أن يتدبروا أن القصد إلى بابه جل جلاله خلاف القصد إلى أبوابهم، فألزمهم أن يأتوه متجردين متساويين في لباس الإحرام فلا فضل لأحدهم على الآخر إلا بما أقبل عليه من تقوى القلب وخشوعه .

والتجرد من اللباس **واجبٌ في الإحرام ليسَ شرطاً فيه**، فلو أحرم وعليه ثيابه، صح ذلك بسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وباتفاق أئمة أهل العلم، **وعليه أن يترع اللباس المحظور فور علمه إن كان جاهلا أو قدرته إن لم يتمكن من التجرد وقت الإحرام ، وأما المتعمد فقد ارتكبت محظورا**، وعليه فدية ارتكاب المحظور، وهي دم شاة أو بدنة تذبح في

---

١ الانعام ٩٤

الحرم، وتوزع على فقرائه، أو إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، أو صيام ثلاثة أيام .

فيتجرد الرجل والصبي عن الثياب المَخيطة وكلِّ ما يحرُم لبسه، ويلبس ثوبي الإحرام، والأفضلُ أن يكونا أبيضين، باتفاق الأربعة،

والسنة :أن يُحرم في إزار ورداء، سواء كانا مَخيطين، أو غير مخيطين باتفاق الأئمة، ولو أحرم في غيرهما، جاز إن كان مما يجوز لبسه، وإن كان ملوناً، والأفضلُ أن يحرم في نعلين إن تيسر.

والمقصود بالمخيط: الثوب الذي يلبس، وقد فصل على الموضع الذي جعل له، حتى ولو كان في بعض البدن، كالسراويل والقميص والقفاز ونحو ذلك، سواء خيط بخيط أو ألصق بشيء كالصمغ والدبابيس والمسامير ونحو ذلك، أما إذا خيط حزاماً لحفظ نقود فلا يدخل في النهي.

ونادى مناد للحجيج ليحرموا

فلم يبق إلا من أجاب ولباه

وجردت القمصان والكل أحرموا

ولا لبس ولا طيب جميعا هجرناه

وصرنا كأفكان لففنا جسومنا

بأكفان كل ذليل لمولاه

لعل يرى ذل العباد وكسرهم

فيرحمهم رب يرجون رحماه[1]

قال صلى الله عليه وسلم : (ما من مؤمنٍ يظلُّ يومَه مُحرِمًا إلَّا غابت الشَّمسُ بذنوبِه)[2]

الإحرام من الميقات

لقوله صلى الله عليه وسلم : (هي لهن ولمن يأتي عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة) [1].

---

١ الأمير الصنعاني، مثير الغرام

٢ أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد

ولا يجوز تجاوز الميقات من غير إحرام لمن أراد أداء النسك ومن تجاوزه عليه أن يعود ليحرم منه ولا شيء عليه، **فإن لم يرجع للميقات صح إحرامه ولكن وجبت عليه فدية** (شاة تذبح في الحرم وتوزع لمساكين الحرم ولا يأكل منها) ،والمتعمّد آثم .

وتبدأ التلبية وهي الإهلال بالنسك من حين نيّة الإحرام، ويسن تكرارها حتى بداية الطواف بالبيت.

مسألة :

- الحيض لا يمنع الإحرام، فالحائض تحرم وتفعل ما يفعله الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت، فتؤخر الطواف إلى أن تطهر، وإن أخرت الإحرام وجاوزت الميقات بدونه، فالواجب عليها الرجوع لتحرم من الميقات، فإن لم ترجع فعليها دم لترك الواجب عليها.

- يجوز الاشتراط عند الإحرام لمن خشي من عدم إكمال نسكه بسبب عارض يخشاه من مرض أو منع فيقول حين

١ رواه البخاري

يلبي بالنسك: " إن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني .

قبل الإحرام :

يستحب قبل أن يهل بالنسك أن يحمد الله ويسبحه ويكبره جل جلاله ، لفعل النبي صلى الله عليه وسلم فعن أنس رضي الله عنه أنه قال : **لما استوت بالنبي صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته على البيداء حمد الله وسبح وكبر ثم أهل بحج وعمرة** [1].

بدء الإحرام بالإهلال بالنسك والتلبية :

إن الحاج أو المعتمر منذ بدأ في إجراءات سفره وعقد نية الحضور للبيت فقد نوى النية العامة لهذه العبادة ، ثم إذا وصل الميقات شرع له التلفظ بالتلبية فهي شعار المحرم ، **وهي بمثابة تكبيرة الإحرام للصلاة حيث بعدها يحرم عليه أمورا كانت قبل ذلك حلالا** .

---

١ رواه البخاري

يستحب أن يحرم عقيب صلاة إما فرض وإما تطوع إن كان وقت تطوع .

لا يشرع الجهر بالنية ،لأنه لم يأت عن النبي عليه الصلاة والسلام أو أحد من الصحابة ، وإنما جاءت السنة بالإهلال بالنسك عند الدخول فيه _ أي تسميته _ ، فيقول الحاج المرد لبيك اللهم حجا ، والقارن يقول : لبيك اللهم عمرة وحجا ، ويقول المتمتع لبيك اللهم عمرة متمتعا بها إلى الحج ، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : **خَرَجْنَا مع رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، فَمِنَّا مَن أَهَلَّ بعُمْرَةٍ، ومِنَّا مَن أَهَلَّ بحَجَّةٍ وعُمْرَةٍ ، ومِنَّا مَن أَهَلَّ بالحَجِّ، وأَهَلَّ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالحَجِّ**[1] .

ومعنى (لبيك): اتجاهي وقصدي إليك، أو محبتي لك أو إخلاصي لك، أو أنا مقيم على طاعتك وإجابتك، وهذه الإجابة والتلبية إجابة لأمر الله عز وجل لإبراهيم {**وَأَذِّنْ فِي**

[1] رواه البخاري

النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا}[1]، قال ابنُ عبَّاسٍ: هل تدري كيفَ كانَتِ التَّلْبيةُ؟ قلتُ: وكيفَ كانت؟ قال: إنَّ إبراهيمَ لما أُمِر أنْ يُؤذِّنَ في الناسِ بالحَجِّ، خفَضتْ له الجبالُ رؤوسَها، ورُفِعتْ له القُرَى، فأذَّنَ في الناسِ بالحَجِّ.[2]

فضل التلبية :

هي شعار الحج وشعار التنقل بين أركان الحج في المناسك فهي بمثابة تكبيرات الانتقال في الصلاة .

وقد سُئِلَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم: "أيُّ الحجِّ أفضَلُ؟ أي : ما أفضَلُ أعْمالِ الحَجِّ بعدَ تَحْقيقِ فِعلِ أركانِهِ وشُروطِهِ وواجباتِهِ، فقال عليه الصلاة والسلام :

"العَجُّ" : وهو أنْ يَجهَرَ المُلبِّي بالتَّلبيةِ، ويَرفَعَ بها صوتَهُ ، وهي تَعني إجابةَ المُلبِّي لنِداءِ اللهِ إجابة بعدَ إجابةٍ، فكل ركن

---

١ الحج ٢٧

٢ رواه مسلم

يؤديه وكل نسك يفعله فهو إجابة للنداء ، وهي تتضمَّنُ المَحَبَّةَ الكامِلةَ بالْتِزامِ الطَّاعةِ والإقامةِ عليها،

وقوله : "إنَّ الحمْدَ والنِّعمةَ لك والمُلكَ، لا شَريكَ لك"، اعتِرافٌ للهِ بأنَّه مالِكُ المُلكِ، وأنَّه هو الواحِدُ الأحَدُ لا شَريكَ له، ثمَّ قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم : "والثَّجُّ": وهو ذَبحُ الهَدْيِ والأَضاحيِّ، وإراقةُ دِمائِها وسَيَلانُها، وفي هذا تنبيه على أن كُلَّ أعْمالِ الحجِّ عَظيمةٌ وجَليلةٌ ويَنبَغي إتمامُها من أوَّلِها إلى مُنتَهاها؛ لأنَّها تَبدَأُ بالذِّكرِ والتَّلبيةِ، وتنتَهي بالذَّبحِ والهَدْيِ؛ فذكَرَ الحدَّينِ لِيَشمَلَ ما بيْنَهما مِن أعْمالٍ .

(ما من مسلم يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا) [1]

فاستشعر تلبية الشجر والحجر معك ، فسبحان من يسبح له الكون ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ ﴾ [2] .

١ رواه الترمذي

٢ سورة الإسراء ٤٤

التلبية هي الإجابة مع المحبة الاعتراف بالنعمة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية :التلبية هي إجابة دعوة الله حين دعاهم إلى حج بيته على لسان خليله، والملبي هو المستسلم المنقاد لغيره، كما ينقاد الذي لُبِّبَ وأُخذ تلبيبُه، والمعنى :إنا مجيبون لدعوتك، مستسلمون لحكمك، مطيعون لأمرك، مرة بعد مرة دائماً لا نزال على ذلك.

وبهذا تتحقق للملبي بإذن الله الاستقامة والصلاح على الدوام ويكون أهلا لوعد الله بالمغفرة والقبول فيرجع من عمرته وقد كُفِر عنه ما سبق ، ويرجع من حجه كيوم ولدته أمه، نسأل الله من فضله وكرمه ورحمته.

من الصيغ الواردة في التلبية:

" لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ"..

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك مرغوبا أو مرهوبا، لبيك ذا النعماء والفضل الحسن"

لبيك حجا حقا تعبدا ورقا "

لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغباء إليك والعمل."

" لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك وكلها واردة عن الصحابة رضي الله عنهم.

وينبغي للمُحرم أن يُكثر من التلبية (خصوصاً عند تغير الأحوال والأزمان، مثل أن يعلو مرتفعاً، أو يترل منخفضاً، أو يُقبل الليل أو النهار، وأن يسأل الله بعدها رضوانه والجنة، ويستعيذ برحمته من النار) ، وينبغي ألا يتكلم إلا بما يعنيه، ويستمر في التلبية إلى أن يبتدئ بالطواف ، وأكثر أهل العلم على أن المعتمر لا يقطع التلبية حتى يستلم الحجر .

أتيناك لبيناك جئناك ربنا

إليك هربنا والأنام تركناه

ووجهك أنت للقلب قبلة

إذا ما حججنا أنت للحج رماناه

فما البيت ما الأركان ما الحجر ما الصفا

وما زمزم أنت الذي قصدناه

وأنت منانا وأنت غاية سؤلنا

وأنت الذي دنيا وأخرى أردناه [1]

عند قرب القدوم إلى مكة : عليه استشعار الهيبة والتعظيم والمضاعفة {للحسنات}- {السيئات}.

ما يشرع عند الوصول للبيت العتيق :

فليكنْ دخوله لبيت ربه جل جلاله وتقدست أسماؤه مقترناً بالتعظيم والإجلال، وليحضر في نفسه ما خُص به هذا البيت من تشريف وتعظيم ،

[1] الأمير الصنعاني ، مثير الغرام

قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1] ، لقد طهر الله البيت لزواره وحجاجه ، فاستحضر أن تدخله وقد طهرت قلبك ونفسك ، فإن ربك عظيم ، وبيته عظيم ، فعظم دخولك إليه ، وتأمل الكعبة ، وأركانها واستحضر طواف الأنبياء حولها ، وردد بلسانك الحمد والشكر ، فأنت تطوف بالبيت وقد هُيئ لك بالطهارة وسبل الراحة ، وقد طافه نبيك والأصنام في جوف الكعبة ومِن حولها، وقد امتلأ البيت الحرام بمئات الأصنام فلكلّ حيٍّ من العرب صنم أو صنمان ، نعم لقد طهرت البيت الحرام فطهر قبلك من أصنام الهوى التي رصدها الشيطان في طريقك ، وكن في خشوعك جديرا بكرامة الله لوفد بيته.

ولما رأت أبصارهم بيته الذي

قلوب الورى شوقا إليه تضرم

كأنهم لم ينصبوا قط قبله

لأن شقاهم قد ترحل عنهم

[1] الحج ٢٦

فلله كم من عبرة مهراقة

وأخر على آثارها لاتقدم

وقد شرقت عين المحب بدمعها

فينظر من بين الدموع ويسجم[1]

يستحب أن يدخل بقدمه اليمنى ويقول : أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم باسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك.

وقد ورد في الأثر أنه إذا وقع بصره على البيت قال : اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دار السلام تباركت ربنا وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام اللهمَّ زدْ هذا البيتَ تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزِدْ مَنْ شرَّفه وكرَّمه ممَّن حجَّه أو اعتمر تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبِرّاً، اللهمَّ افتح لي أبواب رحمتك، وأدخلني جنتك، وأعِذْني من الشيطان

١ ابن القيم

الرجيم، ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة .

وليس هناك ما يدل على مشروعية رفع اليدين عند رؤية البيت، وهو حكم شرعي لا يثبت إلا بدليل.

الطواف بالبيت :

فيا شوقنا نحو الطواف وطيبه

فذاك شوق لا يحاط بمعناه

الابتداء بالطواف مستحب لكل داخل للبيت، سواء كان محرماً أو غير محرم، إلا إذا خاف فوت الصلاة المكتوبة أو سنة راتبة أو مؤكدة أو فوت الجماعة في المكتوبة أو كان عليه فائتة مكتوبة، فإنه يقدم كل هذا على الطواف ثم يطوف، ولو دخل وقد منع الناس من الطواف صلى تحية المسجد.

يبدأ كل شوط بقول : " بِسْمِ اللهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ " يكرّر التكبير عند بداية كل شوط، **مستحضرا مع كل تكبيرة كبرياء الله وعظمته جل جلاله وذله وخضوعه له سبحانه .**

وليستحضر الطائف بالبيت أنه في أعظم موضع على الأرض وأطهر بقعة وأحب مكان إلى خالق الأرض والسماء ، يطوف تحت البيت المعمور الذي تطوف به ملائكة السماء ، فليلهج لسانه بالذكر العظيم لربه وليدعو لنفسه ولمن أحبِّ بما أحبِّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس فيه ذكر محدود عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، لا بأمره، ولا بقوله، ولا بتعليمه، بل يدعو فيه بسائر الأدعية، وما يذكره كثير من الناس من دعاء معين تحت الميزاب ونحو ذلك، فلا أصل له، انتهى. وأباح الله سبحانه فيه الكلام، فمن تكلم فيه، فلا يتكلمْ إلا بخير.

قال السلف : أنه لم يذكر أدعيةً خاصة لمشاهد الحج؛ لأن **التوقيت في الدعاء يُذهب رقةَ القلب،**

فيقرأ في طوافه ما أحب من ذكر ودعاء وقراءة قرآن فإنما جُعل الطواف بالبيت والصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله.

فإذا وصل الركن اليماني يقول :

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " ، ويكرر الدعاء حتى يصل إلى الحجر الأسود . وبعضهم يزيد، ووالدينا وجميع المسلمين لابأس مالم يتخذ سنة ،قال شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ: والمناسبة في ذلك أن هذا الجانب من الكعبة هو آخر الشوط، وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يختم دعاءه غالباً بهذا الدعاء .

قال سفيان الثوري : الحسنة في الدنيا: العلمُ والرزق الطيب، وفي الآخرة حَسنة الجنة ،وقد تجمع " الحسنةُ" من الله عز وجل العافيةَ في الجسم والمعاش والرزق وغير ذلك، والعلم والعبادة ، وأما في الآخرة، فلا شك أنها الجَّنة، لأن من لم يَنلها يومئذ فقد حُرم جميع الحسنات، وفارق جميع مَعاني العافية[1]

ويشترط لصحة الطواف الطهارة من الحدث والنجس في الثوب والبدن والمكان الذي يطؤه في طوافه؛ فإن كان محدثاً أو مباشراً لنجاسة غير معفو عنها لم يصح طوافه.

١ تفسير الطبري، سورة البقرة .

ومما تعم به البلوى في الطواف ملامسة النساء بسبب الزحمة، فينبغي للرجل ألا يزاحمهن، وينبغي لهن ألا يزاحمن، بل يطفن من وراء الرجال .

فضل الطواف :

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اِسْتَمْتِعُوْا بِهَذَا البَيْتِ فَقَدْ هُدِمَ مَرتين، ويُرْفَعُ في الثالثةِ" [1]

- عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: استكثروا من الطواف بهذا البيت ما استطعتم، من قبل أن يحال بينكم وبينه[2].

وينبغي أن يكون في طوافه خاشعاً، خاضعاً، متذللاً، خاضع القلب، ملازم الأدب بظاهره وباطنه، وفي حركته ونظره، وهيئته، يستشعر أنه في بيت الله سبحانه، فيكون جم الأدب في هذا المكان، في غاية الاحترام لهذا المكان، ويكون متواضعاً

١ [أخرجه البزار وابن خزيمة وابن حبّان وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٥١)].
٢ [رواه عبد الرزاق في المصنف (١٣٧/٥)].

لخلق الله سبحانه، فلا يؤذي أحداً حتى لو آذاه الناس في هـذا المكان.

ومما يخدش هذا الأدب، ويذهب من القلب المهابة والخضـوع والتعظيم ، انشغال الطائف بالتحدث بالهـاتف، والانشـغال بالتصوير، فنسأل الله الهداية والسلامة .

قال النووي في "الأذكار": **ومن الـدعوات المـأثورة** فيهـا (***بعد الطواف***) والانتهاء من الطواف والصلاة :

اللهمَّ لك الحمدُ حمداً يوافي نعمَك، ويكافئ مزيدَك، أحمـدك بجميع محامِدك ما علمتُ منها وما لم أعلمْ، على جميع نعمِك ما علمتُ منها وما لم أعلم، وعلى كل حال، اللهمَّ صلِّ علـى محمد وعلى آل محمد، اللهم أعِذْني من الشـيطان الـرجيم، وأعِذْني من كل سوء، وقَنِّعْني بما رزقتني، وباركْ لي فيه، اللهمَّ اجعلني من أكرم وَفْدِك عندَك، وألزمْني سبيلَ الاستقامة حـتى ألقاك يا رب العالمين .

ثم ليحمدِ الله كثيراً، ويصلِّ على الرسول وجميع الرسل كثيراً في هذا الموضع، وليدعُ بحوائجه الخاصة، ويستغفرْ من ذنوبه، وكان بعض السلف يقول لمواليه:

تنحَّوا عني حتى أُقِرِّ لربي بذنوبي،

وسالت دموع من غمام جفوننا

على ما مضى من إثم ذنب كسبناه

ونحن ضيوف الله جئنا لبيته

نريد القِرى نبغي من الله حسناه

أخي الحاج : مع الزحام قد تضطر الى الطواف في الأعلى، فلا تكن من المتذمرين ممن طول المسافة والمشقة، احتسب كل التعب وتذكر أنها عبادة فرضت علينا مرة واحدة في العمر. أجرها باقٍ وتعبها زائل..

ركعتي الطواف عند مقام إبراهيم :

يتقدم إلى مقام إبراهيم ، ويقرأ قوله تعالى (**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**) [1] - فيجعل المقام بينه وبين البيت ، ويصلي ركعتين ويقرأ فيهما سورتي الكافرون والإخلاص ، وهذا الأمر بالصلاة خلف المقام إنما هو **تكرمة من رب البيت لباني البيت** خليله الذي اصطفاه وكلفه وجعله (للناس إماما) ، فافخر أيها الحاج بانتسابك **لملته** (**مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) [2]، قال قتادة " :واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "، إنما أمروا أن يصلوا عنده، و لم يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه، فما زالت هذه الأمم يمسحونه حتى اخلولق وانمحى .

١ البقرة١٢٥
٢ النحل ١٢٣

بعد الانتهاء من ركن الطواف يستحب للمعتمر والحاج:

الشرب من ماء زمزم :

فيستقبل القبلة، وينوي عند شربه الشفاء ويسأل الله من خير الدنيا والآخرة، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : **(ماء زمزم لما شرب له)** [1] ، وعن ابن وكان ابن عباس إذا شرب زمزم، قال **:اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء**[2] .

قال ابن القيم : **وقد جربتُ أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزمَ أُموراً عجيبة، واستشفيتُ به من عدة أمراض، فبرأتُ بإذن الله**[3] .

وسئل ابن خزيمة :من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ماء زمزم لما شرب له وإني لما شربت سألت الله علما نافعا.

---

١ رواه مسلم

٢ رواه الحاكم، والدارقطني .

٣ ابن القيم زاد المعاد في هدي خير العباد

ولما حج الخطيب البغدادي شرب من ماء زمزم ثلاث شربات وسأل الله ثلاث حاجات آخذا بالحديث :ماء زمزم لما شرب له .فالحاجة الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد في بغداد، الثانية أن يملي الحديث بجامع المنصور، الثالثة أن يدفن عند بشر الحافي . فقضى الله له ذلك.

قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول : زمزم سقيا الله وغياثه لولد خليله إسماعيل عليهما السلام، فبقي غياثا لمن بعده في كل نائبة، إن شربت لمرض شفيت، و إن شربت لغم فرج عنك، و إن شربت لحاجة استعنت، و إن شربت لنائبة صلحت، لأن أصله من الرحمة بدا غياثا، فلأي شيء شربه المؤمن وجد غوث ذلك الأمر.

إن ماء زمزم لما شرب له ، لقد أخبر النبي بأن هذا موجود فيه إلى يومه ذلك، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، لمن صحت نيته وسلمت طويته، و لم يكن به مكذبا ولا شربه مجربا؛ فإن الله مع المتوكلين وهو يفضح المجربين، قال ابن العربي : ولقد

كنت بمكة مقيما.. وكنت أشرب ماء زمزم كثيرا وكلما شربته نويت به العلم والإيمان، حتى فتح الله لي بركته في المقدار الذي يسره لي من العلم، ونسيت أن أشربه للعمل؛ ويا ليتني شربته لهما حتى يفتح الله علي فيهما[1] .

فكل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه[2] ، وقد نبه أهل العلم على أن شرب ماء زمزم لا يفيد شاربه إن فعله **مجربا لا موقنا** ، وإنما يناله العبد على قدر نيته وحسن ظنه بربه، واليقين بعطائه.

سنة التضلع :

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: **"آيةُ ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضَلّعون من ماء زمزم"** [3]، والتضَلُّع : الامتلاء حتى تمتدّ الأضلاع.

---

١ ابن العربي، أحكام القرآن

٢ ابن حجر، فتح الباري .

٣ رواه ابن ماجه، والدارقطني، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

قال النووي : يستحب أن يشرب من ماء زمزم، وأن يكثر منه، وأن يتضلع منه – أي يمتلئ – ويستحب أن يشربه لمطلوباته من أمور الآخرة والدنيا، فإذا أراد أن يشربه للمغفرة أو الشفاء من مرض ونحوه استقبل القبلة ثم ذكر اسم الله تعالى، ثم قال (اللهم إنه بلغني أن رسولك صلى الله عليه وسلم قال: { ماء زمزم لما شرب له } اللهم إني أشربه لتغفر لي، اللهم فاغفر لي. أو اللهم إني أشربه مستشفيا به من مرض، اللهم فاشفني) ونحو هذا، ويستحب أن يتنفس ثلاثا كما في كل شرب، فإذا فرغ حمد الله تعالى[1].

الذهاب إلى الصفا لبدء ركن السعي :

يا أيها الحاج الكريم استحضر حال السعي حال تلك المرأة التي وقعت في شدة عظيمة حتى أنجاها الله، بعد أن اجتهدت وسعت مرارا بين الجبلين بتلك المشقة وذلك الهلع ، فأنت الآن قد أقبلت بربك محملا بالذنوب محتاجا لمغفرة الله ــ عزّ وجل

١ النووي، المجموع شرح المهذب

ـــ كما احتاجت هذه المرأة إلى الغذاء، واحتـــاج ولـــدها إلى اللبن،

وقد قرأ النبي صلّى الله عليه وسلّم حين أقبل على الصفا: «إن الصفا والمروة من شعائر الله» أبدأ بما بدأ الله بـــه ، وكـــان المسلمون يتحرجون من السعي؛ لأن أهـــل الجاهليـــة كـــانوا يسعون بينهما بصنمين على الصفا والمروة، فلمـــا جـــاء الله بالإسلام تحرجوا، فقد كان السعي بين صنمين علـــى الصـــفا والمروة هما إساف ونائلة، كان المشركون يسعون للصـــنمين فأبطل الله عبادة الأصنام، وأقر السعي لله وحده لا شريك له، وأجزل الثواب والأجـــر لمـــن ســـعى بينـــهما فعـــن ابـــن عمر، قال :قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم" :- **أمـــا طوافُك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة**[1].

يصعد على الصفا قليلاً ويتوجه إلى البيت وهو فوق الصـــفا، وهذا بحسب الاستطاعة، فالزحام أحياناً يكون شديداً فيصعب

١ رواه الطبراني في "الكبير"، والبزار، واللفظ له .

عليه أن يقف في مكان يرى البيت وخاصة مع الأبنية الموجودة، ومع السلالم التي تمنع الرؤية من جهة وتسمح بها من جهة أخرى، فعلى ذلك بحسب ما يتيسر للإنسان أن يقف يستقبل الكعبة ويرفع يديه كما يرفعها عند الدعاء ويقول:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

ثم يدعو بما أحب، ثم يعيد الذكر مرة ثانية، ثم يدعو بما أحب ثم يعيد الذكر مرة ثالثة.

ومن السنة إطالة القيام على الصفا والمروة للدعاء ، قال نافع : واصفا قيام ابن عمر لولا الحياء منه لجلست ــ أي من طول القيام ــ ، وورد عن السلف أنهم كَانُوا يَقُومُونَ عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ الرَّجُلُ عِشْرِينَ أَوْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ " ، وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ " كَانَ يُحِبُّ إِذَا قَامَ

عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْبَيْتَ حَيْثُ يَرَاهُ ثُمَّ يَكُونَ قِيَامُهُ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّكْبِيرِ قَدْرَ سُورَةِ النَّجْمِ أَوْ نَحْوِهَا"

وذكر ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كان يَدْعُو عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ بقوله: " اللهُمَّ اعْصِمْنِي بِدِينِكَ وَطَوَاعِيَتِكَ وَطَوَاعِيَةِ رَسُولِكَ، وَجَنِّبْنِي حُدُودَكَ ، اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ يُحِبُّكَ وَيُحِبُّ مَلَائِكَتَكَ وَرُسُلَكَ وَعِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، اللهُمَّ حَبِّبْنِي إِلَيْكَ وَإِلَى مَلَائِكَتِكَ وَإِلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، اللهُمَّ يَسِّرْ لِي لِلْيُسْرَى ، وَجَنِّبْنِي لِلْعُسْرَى، وَاغْفِرْ لِي فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَئِمَّةِ الْمُتَّقِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ،

وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يَبْعَثُونَ[1]" [2].

"اللهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }[1] وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ كَمَا هَدَيْتَنِي لِلْإِسْلَامِ أَنْ لَا تَنْزِعَهُ مِنِّي حَتَّى تَوَفَّانِي وَأَنَا مُسْلِمٌ[2] .

---

١ الشعراء ٨٥

٢ أخرجه البيهقي

ومما ورد من الأذكار أثناء السعي قول : رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ [٣]، ويزيد في قراءة ما أحب من ذكر ودعاء وقراءة قرآن.

ثم يترل من الصفا إلى المروة ماشياً، فإذا بلغ العلم الأخضر أسرع الرجل قليلاً ولا يؤذي أحداً، فإذا بلغ العلم الأخضر الثاني مشى كعادته، إلى أن يصل إلى المروة فيرقى عليها ويستقبل القبلة، ويرفع يديه كرفعهما في الدعاء، ويقول ما قاله على الصفا.

ثم يترل من المروة إلى الصفا، فيمشي في موضع مشيه، ويسرع في بين العلمين الأخضرين. فإذا وصل الصفا، فعل كما فعل أول مرة، وهكذا المروة حتى يُكمل سبعة أشواط، ذهابُهُ من الصفا إلى المروة شوط، ورجوعه من المروة إلى الصفا شوط آخر.

---

١ غافر ٦٠

٢ ورد عن ابن عمر رضي الله عنه انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع .

٣ مصنف ابن أبي شيبة.

مسائل:

لا يُشْرَعُ التطَوُّعُ بالسَّعيِ بين الصَّفا والمروةِ لغيرِ الحاجِّ والمعتَمِرِ .

لا تُشتَرَط النيَّةُ في السَّعيِ.

لا صلاة عقيبَ الطواف بالصفا والمروة ، والطهارةُ مستحبة للسعي، وليست بواجبة .

الحلق أو التقصير :

إذا أتم سعيه سبعة أشواط، حلق رأسه أو قصر إن كان رجلاً، وإن كانت امرأة فإنها تقصر من أطراف شعرها قدر أنملة ، وبالنسبة إلى الرجال ينبغي أن يكون الحلق شاملاً لجميع الرأس، وكذلك التقصير يعم به جميع جهات الرأس. والحلق أفضل من التقصير، وبهذه الأعمال تتم العمرة ،

والعمرة هي الحج الأصغر كما قال أهل العلم

مناسك ومشاعر الحج

قال تعالى: (وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)[1]

تعظيم شعائره جل وعلا هي تعظيم ما جعله اللهم أعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم ، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها ، والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم فإن هذا من تقوى قلوبهم ، و لم يخصص من ذلك شيئا فتعظيم كلّ ذلك من تقوى القلوب وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك ، فإنها من وجل القلوب من خشية الله، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده ،

الوقوف بعرفة من شعائر الله ، والمَشْعَر الحرام والمزدلفة من شعائر الله ، ورمي الجمار من شعائر الله، والبُدْن من شعائر الله ، ومن يعظمها فقد حقق تعظيم الله في قلبه وعمله [2].

١ الحج ٢٣

٢ تفسير الطبري ، سورة الحج

٨ من ذي الحجة

يوم التروية (يوم التأهب للحج)

هو أحد أيام العشر الفاضلة، التي أقسم بها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم إذ قال: (وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ)[١] ، والعمل فيها أفضل من العمل في غيرها، كما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما العمل في أيام أفضل منها في هذه (يعني عشر ذي الحجة)، قالوا: ولا الجهاد؟ قال: **ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه، وماله فلم يرجع بشيء**[٢] .

في هذا اليوم يبدأ الحجاج بالاستعداد لهذا النسك العظيم ، ويتأهبون فيه للوقوف غداً بين يدي الله الكريم، في يوم المغفرة والمباهاة والعتق من النيران

مشعر مِنى داخل حدود الحرم فيراعي المسلم قدسية المكان ويكثر ما استطاع فيه من العمل الصالح .

---

١ فجر ١-٢

٢ البخاري

منى وادي تحيط به الجبال، تقع في شرق مكـــة، علـــــــى الطريق بين مكة وجبل عرفة وتبعد عن المسجد الحرام

نحو ٦ كم تقريباً وتبلغ مساحة مشعر منى بحـــدوده الشـــرعية ١٦.٨ كيلومترا مربعا

تستوعب نحو ٢.٦ مليون حاج، وبهذا يكون المشـــعر أكـــبر مدينة خيام في العالم .

تعرف منى بأنها موضع أداء شعائر الحج ومبيت الحجاج في يوم التروية ويوم عيد الأضحى وأيام التشريق حيث أن فيها موقع رمي الجمرات

من الأحداث التاريخية الشهيرة التي وقعت في منى بيعتا العقبـــة الأولى والثانية

كما نزلت بمنى سورة "المرسلات"، فقد روى البخاري عـــن عبد الله (بن مسعود) -رضي الله عنه- قال "بينما نحن مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في غار بمنى إذ نزل عليه (والمرسلات)

واكتسب أهمية خاصة عندما خطب في حجة الوداع، وكان وقتذاك في منى ، ومن المساجد التاريخية فيها :

مسجد البيعة وتمت على أرضه أول بيعة في الإسلام ، حيث تمت هذا الموقع تمت بيعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

مسجد الخيف وروى البيهقي في سننه الكبرى عن ابن عباس أنه قال : صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا ، ويتسع لـ٢٥ ألف مصل .

وينتهي في مشعر منى أيضا أطول طريق للمشاة في العالم، والذي يبدأ من جبل الرحمة بعرفات مرورا بمزدلفة.

أعمال يوم التروية :

- يحرم الحاج المتمتع بالحج من مكانه الذي هو نازل فيه، سواء كان في مكة، أو خارجها، أو في منى ،
- هذا الإحرام في يوم التروية خاص بالمتمتع وهوليس واجباً،

فلو أحرم بالحج قبله أو بعده جاز ذلك، والقارن والمفـــرد الذين لم يحلّوا من إحرامهم فهم باقون على إحرامهم الأول.

- بعد الإحرام يشتغل بالتلبية، فيلبي عند عقد الإحرام، ويلبي بعد ذلك في فترات، ويملأ وقته بها حسب الاستطاعة ويرفع صوته بالتلبية

(**ويستحضرأن هذا مبتغاك منذ خروجك مـــن بيتـــك**) **تلبية النداء**) ويستمر ملبيا إلى أن يرمي جمرة العقبة يوم العيد.

- يخرج الحاج إلى منى والأفضل أن يكون خروجه قبل الزوال، فيصلي بها الظهر وبقية الأوقات إلى الفجر، لقول جـــابر – رضي الله عنه-: وركب النبي –صلى الله عليه وســـلم-إلى منى، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وليس المبيت واجباً بل هو سنّة.

كل أعمال يوم التروية مستحبة وليست واجبة فمن تركها فلا حرج عليه ، ومن نواها ومنع عنها لمانع فله أجرها ، **ولكن سنية هذه الأعمال وغيرها من العبادات لا يعني التساهل في تركها والحرمان من أجورها العظيمة فإتباع السنة أولى لقوله صلى الله عليه وسلم: ((خذوا عنّي مناسككم))**.

الإفاضة إلى مزدلفة :

لقوله تعالى: "فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ"[1]،

وقد سميت المزدلفة بالمشعر الحرام؛ لأنه يحرم فيه الصيد، كما ما يحرم في جميع ما دخل في حد الحرم .

و"مزدلفة" مشتقة من المادة اللغوية "زَلَفَ"، وهذه المادة تعنى:

---

١ البقرة ١٩٨

القُربة، والدرجة، والمنزلة ، وهاهم الحجيج قد قربوا من منـــالهم، فقد تم لهم أعظم ركن الحج وهو الوقوف بعرفة.

وكلمة "الزُّلَف" جاءت جمعًا في قوله تعالى: "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ"[1]، والحجيج يقيمون بها صـــلاتي المغـــرب والعشاء جمعا وقصرا وهي أول عمل يبدأ به الحاج عند وصوله.

إذا غربت الشمس واستحكم غروبها بحيث تذهب الصفرة، فالسنة أن يفيض الناسُ من عرفة مُلَـــبين، ذاكـــرين داعـــين شـــاكرين مستبشرين بنعمة الله عليهم وفضله،

والسنة أن يفيض بالسكينة والوقار، لا كمـــا يفـــيض الجهـــال بالإسراع والزحمة المؤذية، قال صلى الله عليـــه وســـلم : أَيُّهـــا النَّاسُ،[2] عليْكُم بالسَّكِينَةِ؛ فإنَّ البِرَّ ليسَ بالإِيضَاعِ[3] .

---

١ هود ١١٤

٢ رواه البخاري

٣ وهو حَمْلُ الدَّابَّةِ على الإسراعِ في السَّيرِ، يعني: فَلَيْست طاعةُ اللهِ في سُرعةِ السَّيرِ، فنَهاهم عن الإيضاعِ والجرْيِ إبقاءً عليهم، ولئلَّا يَضُرُّوا بأنفُسِهم بالتَّسابُقِ مِن أجْلِ بُعدِ المسافةِ، ولأنَّهم راجعونَ مِن الوُقوفِ بعَرَفةَ وهو مَظِنَّةُ التَّعبِ والمشقَّةِ؛ فأرشدَهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى الرِّفقِ . وفي الوقت الحالي فالأمر متوجه لسائقي السيارات والحافلات في التحرك بهدوء وسكينة وتروي

قال الإمام أحمد :إذا أفضتَ من عرفات، فهلِّل وكبر ولَبِّ وقلْ: اللهمَّ إليكَ أفضتُ، وإليك رغبت، ومنك رَهِبت، فاقبلْ نسكي، وأعظم أجري، وتقبل توبتي، وارحم تضرُّعي، واستجبْ دعائي، وأعطني سؤلي."

ويكون في الطريق رافعاً صوته بالتلبية .

و لم يرو عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في إحياء هذه الليلة، بل في هديه أنه صلى الله عليه وسلم نام بالمزدلفة حتى أصبح، و لم يحي تلك الليلة، وليستحضر أن الليلة هي ليلة العيد، وقد انضم إلى شرف الليلةشرفُ المكان، وكونه في الحرم والإحرام ومجمع الحجيج، فلا يشتغل بالحديث والجدال ويطبق السنة وهي المبيت[1].

ومن الأذكار المستحبة هذه الليلة:

١-التلبية في الطريق وبعد الوصول والمكث فيها، لقول الفضل بن عباس: " لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة"

٢-

١ القنوجي ، رحلة الصديق

٣-ذكر الله والتكبير ويذكر الله لأنه في زمن السعي إلى شعائره وهو في هذا الوقت أشد تأكيدا لقوله تعالى: " فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم[١] " ولأنه زمن الاستشعار والتلبيس بعبادته والسعي إلى شعائره[٢].

٤-والسنة خلط الدعاء بالذكر كما ورد به فعل النبي عليه السلام : " فوحد الله وكبره ودعا" .

وبعد أداء صلاة الفجر في مزدلفة. يشرع الحاج في الدعاء والذكر إلى وضوح النهار وقبل طلوع الشمس.

ويجوز للضعفاء والمرضى وأهل الأعذار الدفع من المزدلفة بعد انتصاف الليل.

١ البقرة ١٩٨
٢ المغني

٩ من ذي الحجة
يوم عرفة

قال تعالى :(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا[1]) نزلت هذه الآية والنبي قائم في عرفة .

عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:

أَتَى جِبْرِيلُ إِبْرَاهِيمَ يُرِيهِ الْمَنَاسِكَ فَصَلّى بِهِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ بِمِنًى. ثُمّ ذَهَبَ مَعَهُ إِلَى عَرَفَةَ فَصَلّى بِهِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِعَرَفَةَ، وَوَقّفَهُ فِي الْمَوْقِفِ حَتّى غَابَتِ الشّمْسُ، ثُمّ دَفَعَ بِهِ، فَصَلّى بِهِ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ بِالْمُزْدَلِفَةِ، ثُمّ أَبَاتَه لَيْلَتَهُ، ثُمّ دَفَعَ بِهِ حَتّى رَمَى الْجَمْرَةَ، فَقَالَ لَهُ :اعْرِف الْآنَ، فَأَرَاهُ الْمَنَاسِكَ كُلّهَا، وفَعَلَ ذَلِكَ بِالنّبِيّ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ[2].

عرفة هو المشعر الوحيد من مشاعر الحج الذي يقع خارج

---

١ المائدة ٣

الحرم، يقع على الطريق بين مكة المكرمة والطائف شرقي مكة بنحو (١٥) كيلو مترًا وعلى بعد (١٠) كيلومترات من مشعر منى و (٦) كيلو مترات من المزدلفة بمساحة تقـــدر ب (٤ ر ١٠) كيلومترات مربعة

وقد كان الحمس وهم بعض قبائل العرب وعلى رأسها قريش لا يقفون بعرفة بل في المُزدَلِفةُ، ولا يَتجاوَزونَها إلى عَرَفةَ؛ لِئلَّا يَخرُجوا عن حُدودِ الحَرَمِ الذي شَرَّفَهمُ اللهُ بسُكناه، وجَعَلَـــه عِصمةً لدِمائِهم وأموالِهم، وعَرَفةُ ليسَتْ مِنَ الحَرمِ.

فجاء الاسلام فجعل الحج لا يتم الا بالوقوف بعرفة فقال صلى الله عليه وسلم /الحج عرفة/ تأكيدا على أن من لم يقف بعرفة فلا حج له .

وفي الوقوف بعرفات تنبيها وتذكيرا بالوقوف بين يدي الحـــق سبحانه وتعالى يوم القيامة حفاة عراة .

هو يوم المباهاة : كما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم : ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة يترل الله تبـــارك وتعـــالى إلى

السماء الدنيا فيباهي بأهل الارض أهل السماء فيقول انظـــروا إلى عبادي جاءوني شعثا غبرا ضاحين جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتي و لم يروا عذابي فلم ير يوم اكثر عتقا من النـــار من يوم عرفة.

وهو يوم العتق : قال صلى الله عليه وسلم : **ما من يومٍ أكثرُ من أن يعتِقَ اللهُ فيه عبيدًا من النَّارِ من يومِ عرفةَ ، وأنه لَيدنو ، ثم يباهي بهم الملائكةَ فيقول : ما أراد هـــؤلاءِ ؟ اشـــهَدوا ملائكتي أني قد غفرتُ لهم**[1] .

وفي عشية هذا اليوم يدنو ملـــك الســـماوات والأرض إلى السماء الدنيا فيقبل على ملائكته فيقول: ألا إن لكل وفـــد جائزة وهؤلاء وفدي شعثا غبرا أعطوهم ما سألوا واخلفـــوا لهم ما أنفقوا حتى إذا كان عند غروب الشمس أقبل عليهم فقال :ألا إني قد وهبت مسيئكم لمحسنكم وأعطيت محسنكم ما سأل أفيضوا بسم الله[2]" .

---

١ صحيح الترغيب

٢ ابن رجب، لطائف المعارف

وما رؤى الشيطان أغيظ في الورى

واحقر منه عندها وهو ألأم

وذاك لأمر قد رآه فغاظه

فأقبل يحثوا الترب غيظا ويلطم

لما عينت عيناه في رحمة أتت

ومغفرة من عند ذي العرش تقسم

بنى ما بنى حتى ظن أنه

تمكن من بنيانه فهو محكم

أتى الله بنيانا له من أساسه

فخر عليه ساقطا يتهدم

في هذا اليوم يتوجه جميع الحجاج : المفرد، والقارن، والمتمتع :

- بعد طلوع الشمس من منى إلى عرفة ولو قدم حاجا متأخرا إلى عرفة مباشرة جاز له ذلك مادام محرماً.
- يستحب للحاج أن يغتسل قبل الخروج إلى عرفة.

- يستمر الوقوف إلى زوال الشمس فإذا زالت الشمس، صلّوا الظهر والعصر قصراً وجمعاً بأذان وإقامتين وذلك بعد أداء خطبة عرفة ، لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه (صلى الظهر والعصر و لم يصل بينهما شيئاً) رواه مسلم، وهذا الجمع سنة مؤكدة .
- بعد الصلاة يتفرغ الحجيج للدعاء والتضرع والتوبة والابتهال إلى الله تعالى لقوله –صلى الله عليه وسلم–: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيّون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، بيده الخير وهو على كل شيء قدير).

قال ابن عبد البر : " ويستدل بهذا الحديث على أن دعاء عرفة مجاب كله في الأغلب إن شاء الله إلا للمعتدين في الدعاء بما لا يرضي الله"

ويستحب أن يستكثر من أعمال الخير في يوم عرفة وسائرِ أيام العَشْر، ويواظب في الوقوف بعرفة على تلاوة القرآن والذكر

والدعاء بآدابه، فتارة يهلل، وتارة يقرأ القرآن، وتارة يكبر، وتارة يُسَبِّح، وتارة يستغفر، ويجتهد في هذه العشية، فهذا اليوم أفضلُ أيام السنة للدعاء، وهو معظم الحج، ومقصودُه المعوَّل عليه، فينبغي أن يستفرغ الإنسان وُسْعَه في الدعاء، فيدعو لنفسه ولوالديه ولأقاربه ومشايخه وأصحابه وأحبابه وأصدقائه، ولمن أحبَّ من سائر المسلمين، وسائر من أحسنَ إليه بما أحبَّ، وليحذرْ كلّ الحذر من التقصير في ذلك كله؛ فإن هذا اليوم لا يمكن تداركُه؛ بخلاف غيره، ولا يتكلف السجعَ في الدعاء؛ فإنه يشغل القلب، ويُذهب الانكسارَ والخضوع، والافتقارَ والمسكنةَ والذلةَ والخشوع.

ومن المعلوم أنَّ ثَوابَ العَملِ يَزيدُ بزِيادةِ شرَفِ الوقتِ، كما يَزيدُ بحُضورِ القلْبِ، وبخُلوصِ القصدِ ، واحذر أخي الحاج أن تضيع وسط زحام الأحاديث الدنيوية وسط زحام الجمع وتذكر قوله تعالى :

لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ

أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّـهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا[1]

نعم أن يوم عرفة هو يوم من ملك فيه سمعه وبصره ادع الله أن يذيق قلبك نسمات رحمته ونفحات حبه في يوم عرفة .

والسنة : أن يخفض صوته بالدعاء، ويُكثر من الاستغفار، والتلفُّظ بالتوبة من جميع المخالفات، مع الاعتقاد بالقلب، ويلحُّ في الدعاء ويكرره، ولا يستبطئ الإجابة، ويفتح دعاءه ويختمه بالحمد له تعالى، والثناءِ عليه، والصلاةِ والتسليم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ويستحب أن يكون مستقبلَ القبلة، وعلى طهارة[2] .

قال الشافعي : أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، قال ابن الصلاح : " فينبغي أيضا أن لا يعرج حينئذ على غير الدعاء ، والتضرع والابتهال ، والذكر والبكاء .

---

١ النساء١١٤

٢ القنوجي ، رحلة الصديق إلى البيت العتيق

نعم فهاهنا تُسكب العبرات، وتُستقال العَثَرات، وترتجى الطلبات، وإنه لموقفٌ عظيم، ومجمَعٌ جليل، تجتمع فيه خيار عباد الله الصالحين، وهو أعظم مجامع الدنيا.

وكان – صلى الله عليه وسلم – في دعائه رافعاً يديه إلى مبتهلا متذللا قال أسامة بن زيد رضي الله عنه: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات فرفع يديه يدعو، فمالت به ناقته فسقط خطامها قال: فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى ، **هكذا ألح نبينا على ربه في يوم الموقف .....**

وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقف ساعاتٍ طويلة يناجي ربه بعد رحلة طويلة من الجهاد والدعوة وبذل النفس ، يقف عليه الصلاة والسلام وقفة خاشعة متذللة بنفس رضيةٍ مطمئنة في آخر حياته، تغشاه السكينة، قد بلغ فوق الستين من عمره،

فتأمل أيها الموفق هذا الصنيع وليتحرك في قلبك الخشوع الذي كان قد غاب فإن اليوم خير أيامك .

قال مُطَرِّفُ بنُ عبد الله وهو بعرفة: اللـــهمَّ لا تَـــرُدِّ الجميـــعَ لأجلي.

وينبغي ألا يشتغل ذلك اليوم بغير الله ، ويروى أن سالمَ بنَ عبد الله بنِ عمرَ بنِ الخطـــــاب رأى سائلاً يســـأل الناس، فقال: يا عاجزاً! في هذا اليوم يُسأل غيرُ الله؟!

ولْيُخلصِ الواقف التوبة من جميع المخالفات، مع الندم بالقلب والبكاء، ثم لْيُحسنِ الظنَّ بالله تعالى.

وذكر عن ابن عمر أنه كان يقول عشية عرفة يرفع صوته : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علـــى كل شيء قدير اللهم اهدنا بالهدى وزينا بالتقوى واغفر لنا في الآخرة والأولى ثم يخفض صوته ثم يقول اللهم إني أسألك مـــن فضلك وعطائك رزقا طيبا مباركا اللهم إنك أمرت بالـــدعاء وقضيت على نفسك بالاستجابة وأنت لا تخلف وعـــدك ولا تكذب عهدك اللهم ما أحببت من خير فحببه إلينا ويسره لنـــا وما كرهت من شيء فكرهه إلينا وجنبناه ولا تترع عنا

الإسلام بعد إذ أعطيتنا .

قال الحسن البصري: " يا ابن آدم ، نهارك ضيفك فأحسِن إليه ، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك ، وإن أسأت إليه ارتحل بذمِّك ، وكذلك ليلتك."

فتدبر : إن يوم عرفة ليس كباقي الأيام ، وليلة مزدلفة ليست كباقي الليال ، فأكرم بهما من ضيفين كريمين فلتحسن الضيافة والإكرام .

ينادونك لبيك لبيك ذا العلى

وسعديك كل الشرك عنك نفيناه

وجوههم غبر وشعث رؤوسهم

فلا رأس إلا للإله كشفناه

لبسنا دروعا من خضوع لربنا

وما كان من درع المعاصي خلعناه

وذاك قليل في كثير ذنوبنا

فيا طالما رب العباد عصيناه[1]

في عرفة ستستشعر بحق (لبيك اللهم لبيك) الذي ابتدأت به مناسكك وستجد كل من حولك يحاول أن يخلو بربه ، سترى أعين دامعة وقلوب خاشعة متذللة كل يعرض حاجته ومطلوبه لباريه ، وخير من سأل ربه هو رسول رب العالمين .

وبالجملة : فليكنْ أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء، ففي مثل هذه البقعة، ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات، ولْيُلِحَّ في الدعاء، وليعظم المسألةَ؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء.

ويستحب الإكثارُ من التلبية فيما بين الدعاء والذكر ، وبين الصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –،

روي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِي غَدَاةِ عَرَفَةَ فَمِنَّا الْمُكَبِّرُ وَمِنَّا

١ الأمير الصنعاني، مثير الغرام

الْمُهَلِّلُ فَأَمَّا نَحْنُ فَنُكَبِّرُ ..

قال القرطبي : بل ولا نعلم خلافًا في جواز ذلك ؛ مع أن التلبية أفضل في الحج والعمرة إلى وقت قطعها.

وقال العلامة ابن باز : والتلبية أفضل، وكونه أقرهم يدل على أن الأمر واسع . ولو زاد في التلبية أحيانا في يوم عرفة " إنما الخير خير الآخرة " لقول ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال إنما الخير خير الآخرة .

ويجتمع التكبير المطلق والمقيد للمحرم : من ظهر يوم النحر إلى آخر يوم من أيام التشريق .

- ولا يلزم الحجيج أن يذهبوا إلى جبل الرحمة ولا يلزمهم أن يشاهدوه، ولا يستقبلونه حال الدعاء، وإنما يستقبلون الكعبة المشرفة ولا يلزمهم الصعود فوق جبل عرفة فليس من السنن

١٠ من ذي الحجة
يوم النحر (العيد)

ونحو مِنى مِلنا وكان عيدنا

ونلنا بها ما كان القلب تمناه

فمن منكم بالله عيد عيدنا

فعيد مِنى رب البرية أعلاه[١]

- بعد أداء صلاة الفجر في مزدلفة ، يشرع الحاج في الدعاء والذكر إلى وضوح النهار وقبل طلوع الشمس.
- **ثم يتوجّه قبل طلوع الشمس إلى منى لرمي جمرة العقبة الكبرى** فيرميها بسبع حصيات، واحدة بعد واحدة ، يكبر مع كل حصاة يرميها يقول الله أكبر ، **ومن لم يكبر لا شيء عليه** ، وذكر عن عبد الله بن مسعود، وابن عمر رضي الله عنهما: أنهما كانا يقولان –عند رمي جمرة العقبة– اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً.

١ الأمير الصنعاني ، مثير الغرام إلى طيبة والبلد الحرام .

- ويجوز للضعفاء والمرضى وأهل الأعذار الدفع من المزدلفة بعد انتصاف الليل.

عن عائشة أنها قالت استأذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة تدفع قبله وقبل حطمة الناس وكانت امرأة ثبطة (والثبطة الثقيلة) فأذن لها فخرجت قبل دفعه وحبسنا حتى أصبحنا فدفعنا بدفعه ولأن أكون استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنته سودة فأكون أدفع بإذنه أحب إلي من مفروح به .

- بعد رمي جمرة العقبة الأفضل أن ينحر هديه إن كان يجب عليه هدي تمتع أو قران، لقوله تعالى : **فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**[1] ، وكل ما وجب أن يذبح لله فهو الشعائر قال تعالى : **{وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ}**

١ البقرة ١٩٦

[1] ، ويتحقق بتحسينها وتسمينها، فإن أفضلها أغلاه ثمناً، ، و المقصود تزكيـــــــة النفس وتطهيرُها عن صفـــــة البخل، قال تعالى-{لَنْ يَنَالَ اللّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ}[2] ، وقال سبحانه :{وَالْبُدْنَ جَعَلْناهـــا لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيها خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوافَّ فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُـــوا الْقـــانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [3]} ،

وروت عائشة: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما عملَ آدميٌّ يومَ النحر أحبَّ إلى الله -عز وجل- مـــن إهراقه دماً، وإنها تأتي يوم القيامة بقروها وأظلافهـــا، وإن الدم ليقع من الله -عز وجل- بمكان قبل أن يقع بالأرض، فطيبوا به نفساً ،لكم بكل صوفة من جلدها حسنة، وكل قطرة من دمها حسنة، وإنها لتوضع في الميزان، فأبشـــروا"،

---

١ الحج ٣٢
٢ الحج ٣٧
٣ الحج ٣٦

وسأله – صلى الله عليه وسلم – زيد بن أرقم: ما هـــذه الأضاحي يا رسول الله؟ قال: "سنة أبيكم إبراهيم"، قـــال: فما لنا منها؟ قال: "بكل شعرة حسنة"، قال: يا رسول الله! فالصوف؟ قال: "بكل شعرة من الصوف حسنة" [1] .

- **الحلق أو التقصير :**

يحلق رأسه أو يقصره، والحلق أفضل للرجل، أما المرأة فتأخـــذ من شعرها قيد أنملة من جميع شعر الرأس.

- **طواف الإفاضة :**

طواف الإفاضة، وهو من أركان الحج .

ولا يضطبع، ولا يرمُل في هذا الطواف ، واتفقوا علـــى أنـــه يستحب فعل هذا الطواف يوم النحر إن أمكن، وإلا فعله بعد ذلك في أيام التشريق، **وهو يجزي**، ولا دم عليه بالإجماع.

١ رواه أحمد

- **السعي :**

إن كان متمتعاً أو قارناً ، أو مفرداً و لم يكن سعى بعد طواف القدوم، أمّا إن كان القارن أو المفرد سعى بعد طواف القدوم، فإنه يكفيه ذلك السعي المقدّم، فيقتصر على طواف الإفاضة .

- **التحلل الأكبر :**

إذا فرغ الحاج من طواف الإفاضة ، فقد حل له جميع ما كان حراماً عليه بالاتفاق، و لم يبق إلا رميُ أيام التشريق، والمبيتُ بمنى.

وبهذا يتحلل التحلل الأكبر فيحل له كل شيء حتى النساء فيكون حلالا غير محرم.

وترتيب هذه الأمور الأربعة على هذا النمط: رمي جمرة العقبة، ثم نحر الهدي، ثم الحلق أو التقصير، ثم الطواف

والسعي: **هذا الترتيب سنة**، ولو خالفه، فقدم بعض هـــذه الأمور على بعض فلا حرج عليه، لأنه صلى الله عليه وسلم ما سُئل في هذا اليوم عن شيء قدّم أو أخّر إلا قال: {افعـــل ولا حرج}

فائدة : الذبح لا علاقة له بالتحلل فلا يجب عليه الانتظار حتى يتم ذبح الهدي .

أيام التشريق :

قال صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله)

ولما كانت هذه الأيام هي آخر أيام الموسم الفاضل، فالحجاج فيها يكملون حجهم، وغير الحجاج يختمونها بالتقرب إلى الله تعالى بالضحايا بعد عمل صالح في أيام العشر، استحب أن يختم هذا الموسم بذكر الله تعالى للحجاج وغيرهم.

وعادوا إلى تلك المنازل من منى

ونالوا مناهم عندها وتنعموا

أقاموا بها يوما ويوما وثالثا

وإذن فيهم بالرحيل وأُعلموا

وراحوا إلى رمي الجمار عشية

شعارهم التكبير والله معْهم

ولو أبصرت عيناك موقفهم بها

وقد بسطوا تلك الأكفُ ليرحموا

ينادونه يا ربِ يا ربِ إننا

عبيدك لا نرجو سواك وتعلم

وها نحن نرجو منك ما أنت أهله

فأنت الذي تعطي الجزيل وترحم

رحلت وأشواقي إليكم مقيمة

ونار الأسى مني تشب وتضرم

أودعكم والشوق يثني أعنتي

إليكم وقلبي في حماكم مخيم

هنالك لا تثريب يوما على امرئ

إذا ما بدا منه الذي كان يكتم[1]

وفي هذه الأيام يجتمع لحجاج البيت العتيق خاصة والمؤمنين كافة نعيم القلوب ونعيم الأبدان نعيم أبدانهم بالأكل والشرب، ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر، وبذلك تتم النعمة. وكلما وفق المؤمن شكراً على نعمة كان شكرهم نعمة أخرى، فيحتاج إلى شكر آخر ولا ينتهي الشكر أبداً .

قال الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى: (وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم (إنها أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل) إشارة إلى أن الأكل في أيام الأعياد والشرب إنما يستعان به على ذكر الله تعالى وطاعته، وذلك من تمام شكر النعمة أن يستعان بها على الطاعات، وقد أمر الله تعالى في كتابه بالأكل من الطيبات والشكر له، فمن استعان بنعم الله على معاصيه فقد كفر نعمة الله وبدلها كفراً وهو جدير أن يسلبها، وإن

١ ابن القيم

الدنيا كلها أيام سفر كأيام الحج وهي زمان إحرام المؤمن عما حرم الله عليه من الشهوات، فمن صبر في مدة سفره على إحرامه، وكف عن الهوى، فإذا انتهى سفر عمره، ووصل إلى منى المُنى فقد قضى تفثه ووفى نذره ، فصارت أيامه كلها كأيام منى ، أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل ، وصار في ضيافة الله عز وجل في جواره أبد الأبد،، ولهذا يقال لأهل الجنة (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [1]

(كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) [2] ،

فمن صام اليوم عن شهواته أفطر عليها غداً بعد وفاته ، ومن تعجل ما حرم عليم من لذاته عوقب بحرمان نصيبه من الجنة وفواته [3].

المبيت في منى أيام التشريق من واجبات الحج، ويكون المَبيت ليالي التشريق الثلاث للمُتأخِّرين، وليلتَين للمُتعجِّلين؛

---

١ الطور ١٩

٢ الحاقة ٢٤

٣ لطائف المعارف

لقوله تعالى (وَاذْكُرُوا اللّـهَ فِي أَيّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتّقَىٰ وَاتّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ[1]).

١ البقرة ٢٠٣

١١ من ذي الحجة (يوم القر) :

هو اليوم الأوّل من أيّام التشريق؛ أي اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحِجّة، ويأتي عَقب يوم النّحر، وسُمِّي يوم القر بذلك؛ لأنّ الحُجّاج يقرّون ويستقرّون فيه بمِنى بعد يوم النّحر، فيستريحون من الأعمال التي أدّوها من طواف الإفاضة، والنّحر، والرّمي ،وقد ثبت فَضْله بما ورد عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: (إنّ أعظمَ الأيامِ عندَ اللهِ -تباركَ وتعالى- يومُ النحرِ ثمّ يومُ القرِّ)[1] والشعيرة المتعينة في هذه الأيام هي رمي الجمرات، فيستحضر الحاج وهو يؤديها :

طاعةُ اللهِ فيما أمَرَ به وذِكْرُه بامتثالِ أمْرِه على لسانِ نَبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، قال الله تعالى :(وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ)[2] فيدخُلُ في الذِّكْرِ المأمورِ به: رمْيُ الجِمارِ؛ بدليلِ قَولِه بعدَه :فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فإنَّ ذلك يدلُّ

---

١ سنن أبي داوود .

٢ البقرة ٢٠٣

على أنَّ الرميَ شُرِعَ لإقامةِ ذِكرِ اللهِ ، الاقتداءُ بإبراهيمَ في عداوةِ الشَّيطانِ ورَمْيِه وعَدَمِ الانقيادِ له فإنه لَمَّا أتى إبراهيمُ خليلُ اللهِ عليه السَّلامُ المناسِكَ، عَرضَ له الشَّيطانُ عند جَمْرةِ العَقَبةِ، فرماه بسَبْعِ حَصَياتٍ، حتى ساخَ في الأرضِ، ثم عَرَضَ له عند الجَمْرة الثَّانيَة، فرماه بسبْعِ حَصَياتٍ، حتى ساخ في الأرضِ، ثم عَرَضَ له في الجَمْرة الثَّالثةِ، فرماه بسَبْعِ حَصَياتٍ حتى ساخَ في الأرض. قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما :الشَّيطانَ تَرْجمونَ، ومِلَّةَ أبيكم تَتَّبعونَ [1].

- يبدأ بالجمرة الأولى ويرميها ، ثم يتقدّم قليلاً ويقف ويدعو، ثم يتقدّم إلى الثانية ويفعل مثلما فعل في الأولى، ثم يتقدّم إلى الثالثة (الكبرى) ويرميها.

والسنة بعد رمي الصغرى والوسطى أن يقف ويرفع يديه ويدعو ويطيل الدعاء لحديث " عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

١ صححه الألباني .

أَنَّهُ كَانَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكَبِّرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ ثُمَّ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يُسْهِلَ فَيَقُومَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ فَيَقُومُ طَوِيلًا وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ ثُمَّ يَرْمِي الْوُسْطَى ثُمَّ يَأْخُذُ ذَاتَ (بِذَاتِ) الشِّمَالِ فَيَسْتَهِلُ (فَيُسْهِلُ) وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ فَيَقُومُ طَوِيلًا وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ وَيَقُومُ طَوِيلًا ثُمَّ يَرْمِي جَمْرَةَ ذَاتِ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُولُ هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ .

فيختار مكانا سهلا ليقف للدعاء لا يتأذى هو ولا يؤذي الرماة بل يكون مكانا سهلا بعيد عن الإيذاء.

وظاهر السنة استحباب إطالة الوقوف والدعاء ، ومما جاء عند الصحابة في هذا الباب :

قال سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ:" كَانُوا يَقُومُونَ عِنْدَ الْجَمْرَتَيْنِ بِقَدْرِ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَة .

- ولا يقف للدعاء عند الثالثة، هكذا فعل ابن عمر رضي الله عنه، قال: { أَنَّه كانَ يَرْمِي الجَمْرَةَ الدُّنْيَا بسَبْعِ حَصَيَاتٍ،

يُكَبِّرُ علَى إثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ حتَّى يُسْهِلَ، فَيَقُومَ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا، ويَدْعُو ويَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الوُسْطَى، ثُمَّ يَأْخُذُ ذَاتَ الشِّمَالِ فَيَسْتَهِلُ، ويقومُ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا، ويَدْعُو ويَرْفَعُ يَدَيْهِ، ويقومُ طَوِيلًا، ثُمَّ يَرْمِي جَمْرَةَ ذَاتِ العَقَبَةِ مِن بَطْنِ الوَادِي، ولَا يَقِفُ عِنْدَهَا، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فيَقولُ هَكَذَا رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ يَفْعَلُهُ} صحيح البخاري.

- **والدعاء والذكر وغيرهما مما زاد على أصل الرمي مستحب**، فإذا رمى الأولى ثم انطلق إلى الثانية ولم يدع أو دعا قليلاً فقد ترك السنّة ولا شيء عليه.
- قال ابنُ عثيمين : الحكمةُ مِن رَمي الجَمَراتِ: إقامةُ ذِكْرِ الله عزَّ وجلَّ، ولهذا يُشرَعُ أن يكبِّرَ عند رمي كلِّ حصاةٍ؛ مِن أجْلِ أن يُعَظِّمَ اللهَ تعالى بلسانه كما هو مُعظِّمٌ له بقلبه، لأنَّ رَمْيَ الجَمَراتِ على هذا المكانِ أظهَرُ ما فيه مِنَ المعنى المعقولِ هو التعبُّد لله، وهذا كمالُ الانقيادِ؛ إذ إنَّ الإنسانَ لا يعرف

معنًى معقولًا واضحًا في رَمْيِ هذه الحصى في هـــذا المكـــانِ سِوَى أنَّه يتعبَّدُ لله عزَّ وجلَّ بأمْرٍ، وإن كان لا يَعقِل معنـــاه على وجهِ التَّمامِ؛ تعبدًا لله تعالى وتذلُّلًا له، وهذا هو كمـــالُ الخضوعِ لله عزَّ وجلَّ؛ ولهذا كان في رميِ الجِمار تعظـــيمٌ لله باللِّسان وبالقلب .

١٢ من ذي الحجة

يوم النفر الأول ثاني أيام التشريق

- إذا أصبح، انتظر زوال الشمس فيذهب إلى رمي الجمرات.
- ثم يبدأ بالجمرة الأولى ويرمي، ثم يتقدّم قليلاً ويقف يدعو، ثم يتقدّم إلى الثانية ويفعل مثلما فعل في الأولى، ثم يتقدّم إلى الثالثة (الكبرى) ويرميها ولا يقف للدعاء عند الثالثة.
- والدعاء والذكر وغيرهما مما زاد على أصل الرمي مستحب، فإذا رمى الأولى ثم انطلق إلى الثانية و لم يدع أو دعا قليلاً فقد ترك السنّة ولا شيء عليه.

بعد رمي الجمرات الثلاث في هذا اليوم، إن شاء تعجّل وخرج من منى قبل غروب الشمس، لقوله تعالى: (**فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه**) [١]

- إن غربت عليه الشمس قبل أن يرتحل من منى لتفريطه أو تساهل منه، لزمه التأخر والمبيت والرمي في اليوم الثالث عشر، أمّا من عزم على الرحيل وتجهّز لذلك وتأخّر لعذر فلا حرج عليه.

١ البقرة ٢٠٣

١٣ من ذي الحجة

يوم النفر الثاني ثالث أيّام التشريق

قال تعالى: {وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ}[١]

- إذا أصبح، انتظر الحاج زوال الشمس فيذهب إلى رمي الجمرات، يبدأ بالجمرة الأولى ويرمي، ثم يتقدّم قليلاً ويقف ويدعو، ثم يتقدّم إلى الثانية ويفعل مثلما فعل في الأولى، ثم يتقدّم إلى الثالثة (الكبرى) ويرميها، ولا يقف للدعاء عند الثالثة.
- والدعاء والذكر وغيرهما مما زاد على أصل الرمي مستحب، فإذا رمى الأولى ثم انطلق إلى الثانية و لم يدع أو دعا قليلاً فقد ترك السنّة ولا شيء عليه.

ولا تشترط لرمي الجمار أن يكون طاهرا .

---

١ البقرة ٢٠٣

طواف الوداع :

- إذا أراد الحاج السفر من مكة والرجوع إلى بلده أو غيره، وجب عليه الطواف للوداع بالبيت سبعة أشواط إذا فرغ من كل أموره و لم يبق إلا الركوب للسفر.

وكان ابن عباس رضي الله عنه يدعو عند الوداع بقوله : اللهمَّ البيتُ بيتُك، والعبدُ عبدُك وابنُ أمتك، حملتَني على ما سَخَّرت لي من خَلْقك حتى أعنتني على قضاء مناسكك، فإن كنتَ رضيتَ عني، فازود عني رضا، وإلا، فمن الآن فارض عني الآن قبل أن تنأى عن بيتك داري، اللهمَّ فأَصْحبني العافية في بدني، والصحة في جسمي، والعصمة في ديني، وأحسن مُنْقَلبي، وارزقني طاعتك ما أبقيتني، واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير.

أخي الحاج : مع هذا الطواف استشعر أنكِ تودع أيامـا وليالي قد لا تتكرر في العمر .

وودعت الحجيج بيت إلهها

وكلهم تجري من الحزن عيناه

فلله كم باك وصاحب حسرة

يود بأن الله كان توفاه

فلو تشهد التوديع يوما لبيته

فإن فراق البيت مر وجدناه

فما فُرقة الأولاد والله إنه

أمر وأدهى ذك شيء خبرناه

فمن لم يجرب ليس يعرف قدره

فجرب تجد تصديق ما ذكرناه

لقد صدعت أكبادنا وقلوبنا

لما نحن من مر الفراق شربناه

ووالله لولا أن نؤمل عودة

لذقنا الموت حين فُجعناه[1]

١ الأمير الصعناني ، مثير الغرام

- عند العودة من السفر يدعو بدعاء السفر وزاد عليه: آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون.

إذا تيسر للحاج البقاء في مكة بعد الانتهاء من المناسك ينبغي له :

أن يغتنم مدة إقامته فيكثر من الطواف، فقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: أنه قال" :من طاف هذا البيت، فأحصاه، كان كمن أعتق رقبة، وعنه – صلى الله عليه وسلم " :-إن الطائف لا يرفع قدماً، ولا يضع قدماً، إلا حط الله تعالى عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة، ورفع له بها درجة"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والإكثار من الطواف بالبيت من الأعمال الصالحة، وهو أفضل من أن يخرج الرجل من الحرة ويأتي بعمرة مكية، فإن هذا لم يكن من أعمال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ولا رغب فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – لأمته، بل كرهه السلف .

١ صححه الألباني

ويستحب الإكثار من الصلاة بالمسجد الحرام؛

ويستحب الإكثار بمكة من الصدقة والصوم والقراءة وسائر الطاعات الممكنة.

وذكر عن إبراهيم النخعي أنه قال: كانوا إذا قضوا حجهم، تصدقوا بشيء، ويقولوا :اللهم هذا عما لا يعلم،

وقد أخرج ابن أبي شيبة عن الإمام الشعبي قال: (إنما جَعَل الله هذه المناسك ليكفِّر بها خطايا بني آدم) اهـ.

مصنف ابن أبي شيبة ج:٣ ص:٤١٥

وليحرص الآتي من سفره قبل مفارقته رفقتَه على أن يتحلّلَ منهم، وليحذرْ بعد الحج من مقارفة الذنوب؛ فإن النكسة أشدُّ من المرض، وليوفِ بعهد الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، ولا يكن كالتي نقضَتْ غزلها[1]

١ القنوجي رحلة الصديق

الرجوع من حج أو عمرة وما يتصل به :

عن ابن عمر –رضي الله تعالى عنه–: أن النبي – صلى الله عليه وسلم - كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة :يكبر على كل شَرَف من الأرض ثلاثَ تكبيرات، ثم يقول" :لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعدَه، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده "متفق عليه.

ونحن ضيـــوف الله جئنـــا لبيتـــه

نريد القرى نبغي من الله حسنـــاه

فنادى بنا أهلا ضيوفي تباشـــروا

وقروا عيونـــا فالحجيـــج قبلنـــاه

غدا تنظروني في جنان خلودكـــم

وذاك قراكم مـــع نعيـــم ذخرنـــاه

فأي قرى يعلـــو قرانـــا لضيفنـــا

وأي ثواب مثـــل مـــا قـــد أثبنـــاه

وكل مسيء قـــد أقلنـــا عثـــاره

ولا وزر إلا عنكم قـــد وضعنـــاه
ولا نصـــب إلا وعنـــدي جـــزاؤه
وكـــل الـــذي أنفقتمـــوه حسبنـــاه
سأعطيكم أضعاف أضعاف مثلـــه
فطيبوا نفوساً فضلنا قد فضلنـــاه
فيـــا مرحبـــا بالقادميـــن لبيتنـــا
إلـــى حججتـــم لا لبيـــت بنينـــاه
علي الجزا مني المثوبة والرضى
ثوابكـــم يـــوم الجـــزا أتـــــولاه
فطيبوا سروراً وافرحوا وتباشروا
وتيهوا وهيموا بابنا قـــد فتحنـــاه
ولا ذنب إلا قـــد غفرنـــاه عنكـــم
وما كان من عيب عليكم سترناه
فهذا الـــذي نلنـــا بيـــوم قدومنـــا
وأول ضيـــق للصـــدور شرحنـــاه[1]

١ الأمير الصنعاني ، مثير الغرام

سنة الإطعام عند القدوم من السفر :

بوب أبو داود للإطعام عند القدوم، فأخرج بإسناده إلى جابر بن عبد الله، قال :لما قدم النبي – صلى الله عليه وسلم – المدينة، نحر جزوراً وبقرة.

الهدية :

يندب للقادم أن يهدي إلى أهله ما تيسر، الهدية مطلقاً من السنة، ولهدية القادم موقعٌ في القلب لا يخفى ، ولكن لا يتكلف في هذا ولا يضيع جل وقته في الأسواق.

ولك أختي المؤمنة همسات :

إن مناسك الحج وشعائره تفيض بذكرى امرأة صالحة عظيمة الأثر، كانت زوجة وفية طائعة، وأما رؤوما حانية، ومؤمنة بالله صابرة، فالله الله يا أختي وقد أقبلت من بعيد وبذلت الجهد الجهيد، وكنت في وفادة الرب المجيد أن لا تكوني قد أدركت المعنى الحقيقي للحج ، والدرس العظيم الذي علمته إياك هاجر ، فليست العبرة بقدوم جسدك ومتاعك، وليست العبرة بخطواتك وسيرك ومجيئك ، إنما العبرة بما سكن في قلبك من أثر الحج ودروسه ، فإننا والله في زمن قد ابتليت به المرأة بتسلط شياطين الإنس قبل شياطين الجن، وعاث بقلبها وعقلها من الفساد الفكري والاضطراب النفسي، حتى باتت ألعوبة بمن أراد بها الشر، وكاد لها أشد الكيد حتى أفسد على الكثيرات دينهن، وجعل المرأة معول الشر الذي يهدم الأسرة فيهدم المجتمع، فاضطرب وجدانها ، واختلفت مبادئها ن وتغيرت موازينها، فتاهت عن حقيقة أمرها وأنها هي حلة الكرامة في

كل بيت.

ولكن أنت يامن أكرمك الله بوفادة بيته ، والسعي على خطى هاجر، لا أحسبك إلا وقد امتلئ قلبك بالإيمان، الـــذي يبصرك ويقويك ويعينك ، فترجعين من هذه الرحلة الطـــاهرة وقد أدركت المعنى الحقيقي لإنسانيتك وأنوثتك وأن الله قـــد أكرم هاجر وخلد ذكرها لأمر وقر في قلبها وهو اليقين بالله (**إذا لن يضيعنا الله**) فافخري بهذا الأمان الإلهي، والعون الرباني واستحضري هذه الكلمة الخالدة في كل موقف صعب تمـــرين به، وكل فتنة لا تملكين الصبر عليها.

واستحضري كلمات نبيك الكريم الذي اختصك بالمنزلـــة والبشارة :

«الحج جهاد كل ضعيف» (حسن).

«هلمّ إلى جهاد لا شوكة فيه: الحج» (صحيح).

«جهاد الكبير والصغير والضعيف والمـــرأة الحـــج والعمـــرة» (حسنٌ لغيره).

«ألا أدلك على جهاد لا شوكة فيه؟ حج البيت» (صحيح).

"يا رسولَ اللهِ! ألا نَخرجُ فنجاهدَ معَك، فإنِّي لا أرَى عملًا في القرآنِ أفضلَ منَ الجِهادِ؟! قالَ: «لا، ولَكُنَّ أحسنُ الجِهادِ وأجملُه، حجُّ البيتِ، حجٌّ مبرورٌ» (صحيح).

واسألي الله الثبات والسداد والفتح في كل أمرك فوالله إنه الأعلى ، وله الآخرة والأولى .

وتذكري فقد مر بهذا البيت أمهاتك زوجات النبي ، والصحابيات الطاهرات ، وهن حاجات مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدث لهن من الأمور التي قد تطرأ على أي امرأة كما أخبرنا نبينا عليه الصلاة والسلام : (إنَّ هذا شيءٌ كتبَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ على بَناتِ آدمَ)

فقد :

دَخَلَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى ضُبَاعَةَ بنْتِ الزُّبَيْرِ، فَقالَ لَهَا: لَعَلَّكِ أرَدْتِ الحَجَّ؟ قالَتْ: واللَّهِ لا أجِدُنِي إلَّا وجِعَةً، فَقالَ لَهَا: حُجِّي واشْتَرِطِي، وقُولِي: اللَّهُمَّ مَحِلِّي

حَيْثُ حَبَسْتَنِي .

وفي ذي الحليفة (ميقات أهل المدينة) **ولدت** أسماء بنت عميس زوج أبي بكر الصديق رضي اللهّٰ عنه محمد بن أبي بكر ، فأمرها رسول اللهّٰ صلى اللهّٰ عليه وسلم أن تغتسل وتستثفر بثوب، وتُحرم وتهل.

وفي الطريق إلى مكة **حاضت** عائشة رضي اللهّٰ عنها، وكانت قد أهلت بعمرة، فدخل عليها رسول الله وهي تبكي فأمرها رسول اللهّٰ صلى اللهّٰ عليه وسلم أن تغتسل وتنقض رأسها وتمتشط وتترك العمرة، وتدخل على العمرة حَجّا، وتعمل جميع أعمال الحج إلا الطواف بالبيت ما لم تطهر .

وأمُّ سَلَمةَ رَضيَ اللهُ عنها أنَّها لم تكُنْ قد طافَتْ طَوافَ الوَداعِ؛ لأنَّها كانتْ مَريضةً، **فلَمَّا أرادَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الخُروجَ مِن مَكَّةَ اشتَكَتْ له ما أصابَها مِنَ المَرَضِ، وأنَّها لم تَطُفْ، فأمَرَها إذا أُقيمَتْ صَلاةُ الصُّبحِ أنْ تَطوفَ**

بالبَيتِ على بَعيرِها مِن وَراءِ النَّاسِ وهُم يُصلُّونَ، ففعَلَتْ ذلك.

ولم تُصَلِّ أُمُّ سَلَمةَ رَكعتَيِ الطَّوافِ حتى خرَجَتْ مِنَ المَسجِدِ الحرامِ أو مَكَّةَ، ثم صَلَّتْ، وإنْ كانَتِ الصَّلاةُ خَلفَ المَقامِ أفضَلَ.

وحاضت صفية أم المؤمنين ليلة النفر بعد أن أفاضت، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فسأل" :أفاضت يوم النحر؟ "فقيل له: نعم، فأمرها أن تنفر، وحكم فيمن كانت حاله كحالها أيضًا بذلك.

ولما كان يوم النحر و يوم النفر **رغبت إليه عائشة رضي الله عنها بعد أن طهرت أن يعمرها عمرة مفردة**، فأخبرها عليه السلام أنها قد حلت من حجها وعمرتها، وأن طوافها يكفيها ويجزئها لحجها وعمرتها ، فقالت يا رسول الله، يرجع الناس بحجة وعُمرة وأرجع بِحَجَّة؟ فقال لها : ألم تكوني طفت ليالي قدمت؟ "قالت لا. فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر أخاها أن

يردفها و يعمرها من التنعيم، ففعلا ذلك. وانتظرها عليه السلام بأعلى مكة حتى انصرفت من عمرتها تلك، وقال لها : "هذه مكان عمرتك."

وهكذا تتكرر الأحداث مع بنات آدم ولهن في خير نساء الأرض الأسوة والسلوى.

مسائل تهم المرأة في حجها :

إحرام المرأة: لا يشترط للمرأة عند الإحرام أن تكون على طهارة، وإذا وصلت الميقات وهي حائض أو نفساء فيجب عليها أن تنوي بالنسك، ولا تجاوز الميقات بلا إحرام .

وتحرم في ما شاءت من لباسها المعتاد ومن أي الألوان ، وتتجنب الزينة، وتخلع النقاب والقفازين وجوبا .

عن ابن عمر : أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال" **: لا تنتقب المرأةُ المحرِمة، ولا تلبس القُفّازَين ، ولو غطت المرأة وجهها بشيء لا يمس الوجه، جاز بالاتفاق، وإن كان يمسه، فالصحيح أيضاً الجواز، ولا تُكلف المرأة أن تجافى سترها عن الوجه، لا بعود، ولا يدِها، ولا غير ذلك**؛ فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – سوى بين وجهها ويدها.فإن أزواجُه – صلى الله عليه وسلم – كنّ يُسدلن على وجوههن من غير مراعاة المجافاة، لو كان التجافي شرطاً، لبينه – صلى الله عليه وسلم – ، والثوبُ المسدول لا يكاد يسلم من إصابته البشرة، و لم ينقل

أحد من أهل العلم عن النبي – صلى الله عليه وسلم - أنه قال :إحرام المرأة في وجهها، وإنما قاله بعض السلف، ولا حجة فيه، نعم نهاهن النبي – صلى الله عليه وسلم – عن النقاب والقفازين، كما نهى المحرمَ أن يلبس القميص والخف، مع أنه يجوز له أن يستر يده ورجليه باتفاق الأئمة، والبرقُعُ أقوى من النقاب، فلهذا ينهى عنه باتفاقهم.

- ويحرم عليها تطيب اللباس الذي ستحرم فيها .
- يشرع للحائض والنفساء الاستمرار في التلبية والذكر كحال بقية الحجاج .
- يجوز لمن استمر عليها العذر الشرعي الذي يمنع من الطواف أن تؤخر طواف الإفاضة إلى حين الوداع ،فتطوف طوفاً واحداً يجزئ عن الإفاضة والوداع ، والأولى أن تطوف طوافين للإفاضة والوداع إن أمكن . فإن طواف الإفاضة ركن لا يسقط .
- طواف الوداع يسقط عند العجز عنه

- إذا عجزت المرأة عن الرمي فلها أن توكل غيرها رجل أو امرأة .
- لا حرج أن تقرأ الحائض والنفساء الأدعية المكتوبة في مناسك الحج، ولا بأس أن تقرأ القرآن على الصحيح أيضاً، لأنه لم يرد نص صحيح صريح يمنع الحائض والنفساء من قراءة القرآن ، ولكنها تقرأ بدون مس المصحف .
- لا حرج أن تأخذ المرأة حبوب منع الحيض تمنع الدورة الشهرية في أيام الحج حتى تطوف مع الناس ولا تتعطل عن أعمال الحج، وإن وجد غير الحبوب يمنع من الدورة فلا بأس إذا لم يكن فيه محذور شرعاً أو مضرة.

وختاما:

قد يطول الحديث عن الحج، وقد تكثر قصصه، ولكنها أجمل رحلة ترحلها، وأقصر لرحلة لن تلبث أن تنقضي أيامها سراعا ولم تقضي وطرك من عشق بات القلب متعلقا فيه.

فاللهم لا تجعله آخر العهد ببيتك

فإذا الفرحة لا تـدوم ، وإذا الابتلاء يهـز القلب المشتـاق، وإذا الأمر الإلهي الذي منح إبراهيم فلذة كبده إسماعيل يأمـره بأخذه بعيدا عنه، فيستسلم الخليل للأمر خاضعا راضيـا فهذا هـو دأبه فـي الرضوخ لأوامـر ربـه ، فذهب بهـاجر وإسماعيـل ووضعهم عند مكـان البيت، حتى إذا كـان فـي مكان حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، رفع يديه ثم دعا بهؤلاء الكلمات التي خلدها الله في كتابه العزيز.